

طالبان: تاريخ نقدي من الداخل

المقدمة والفصل الأول

الملا عبدالحي مطمئن

الناطق الرسمي السابق باسم الملا محمد عمر

٢٠٢١







طالبان: تاريخ نقدي من الداخل

مذكرات الملا عبد الحي مطمئن الناطق الرسمي السابق باسم الملا محمد عمر

(المقدمة والفصل الأول)

www.cstd.site

cst-developement@protonmail.com

تأليف

الملا عبد الحي مطمئن

٢٠٢١



مقدمة المترجم

توجد ندرة في الكتابات المتاحة باللغة العربية التي تتناول تجربة حركة طالبان بشكل مفصل يتناول كواليس الأحداث، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب المرفق الذي دونه الملا عبد الحي مطمئن الناطق الرسمي السابق باسم الملا محمد عمر مؤسس حركة طالبان.



عاصر عبد الحي مطمئن حركة طالبان من بداية تأسيسها مرورا بصعودها إلى السلطة وفترة حكمها الأولى التي دامت خمس سنوات من عام 1996 إلى 2001، ثم انتزاع الحكم منها على يد التحالف الدولي، كما عاصر أيضا مرحلة إعادة تجميع شتات طالبان مجددا وصولا إلى تحولها إلى الرقم الأبرز في المشهد الأفغاني.

نشر الملا عبد الحي مطمئن كتابه بلغة البشتو، وتُرجم إلى الانجليزية ليُنشر في ألمانيا عام 2019 بعنوان (طالبان: تاريخ نقدي من الداخل). وقد أعلنت حركة طالبان في 23 يناير 2021 وفاة الملا عبد الحي مطمئن بعد صراع مع المرض.



مقدمة المؤلف



كنت في الثالثة أو الرابعة من عمري عندما قاد الشيوعيون أكثر انقلاب دموية في تاريخ أفغانستان. فأفراد جهاز الاستخبارات "خاد" كانوا يعتقلون المؤمنين بالله. وذات يوم، طرق عدد من الرجال القبيحين باب منزلنا، وغادر والدي معهم ولم يعد بعد ذلك، ولم نره مرة أخرى.

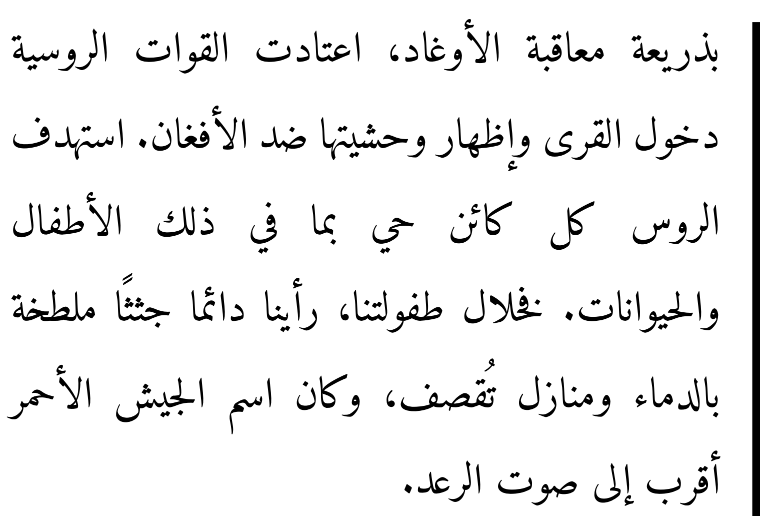
بعد عام، بدأت أفهم أن هذا الشخص اللطيف لم يعد معي. لقد كشف كل من الفقر وملابسي القديمة أني أصبحت يتيمًا. بدا في نظري كل رجل بشارب مثل قاتل والدي. وأخذنا عمي معه إلى قرية أخرى، ولم يعد لدينا منزل خاص بنا.

عندما أصبح الشيوعيون الأفغان غير قادرين على السيطرة على الوضع، استعانوا بالشيوعيين السوفييت مع طائراتهم القاتلة. وحول الجيش الأحمر البلد بأكمله إلى معاناة تشبه يوم القيامة. ولم نكن الأطفال الأيتام الوحيدين الذين اتسمت أيام لعبهم



بالنيران والحرائق والقتل والقصف الجوي. فقد بدت لنا التكنولوجيا التي صنعها الإنسان أكثر وحشية من البشر.





بذريعة معاقبة الأوغاد، اعتادت القوات الروسية دخول القرى وإظهار وحشيتها ضد الأفغان. استهدف الروس كل كائن حي بما في ذلك الأطفال والحيوانات. نخلال طفولتنا، رأينا دائمًا جثثًا ملطخة بالدماء ومنازل تُقصف، وكان اسم الجيش الأحمر أقرب إلى صوت الرعد.

ذات يوم، استيقظت وغسلت وجهي وتناولت إفطاري من الشاي الأخضر والخبز الجاف، وسمعت أصوات الدبابات وصرخات الخوف. كنت خائفا، وأطلق القرويون حيواناتهم حتى تتمكن من الهرب. ركض النساء والرجال العجوز والأطفال على الطريق، وفي بعض الأحيان كانوا ينظرون خلفهم. ذهبت أنا وأخي الأكبر إلى الحقول، وركضنا بجانب قناة ضيقة عميقة. وشعرنا بخطر نيران المروحية، واختبأنا في قناة جافة مليئة بالحجارة وفروع الأشجار. كنا خائفين وأمضينا طوال اليوم مختبئين في القناة دون أن نتحرك أو نتحدث مع بعضنا البعض. وعندما غادرت القوات في فترة ما بعد الظهر، بدأ الآباء والأمهات في البحث عن أطفالهم وحيواناتهم في الحقول. عندما كنا أطفالًا، فهمنا أنه على الرغم من أننا صغارًا، إلا أننا لا نستطيع إنقاذ أنفسنا من الرجال المسلحين.



عندما أرى صورًا لمنازل سورية تعرضت للقصف وأطفالًا مدفونين تحت أنقاض المنازل المدمرة، فإن ذلك يذكرني بطفولتي. هل ما زال بشر القرن الحادي والعشرين بهذه الوحشية؟

لقد نشأنا وسط تعقيدات تلك الحرب، وأكملنا تعليمًا إسلاميًا. بينما عرّفنا الدين على الإنسانية، لم نتمكن من العثور على ذلك في مجتمعنا. أولئك الذين بدأوا الجهاد للدفاع عن الوطن، لم نر فيهم قط تلك الإنسانية أيضًا. لم يكن هناك ما يغير تصوراتنا عن أن البشر كانوا في الواقع قساة وقتلة.

في سن مبكرة جدا ذهبنا إلى باكستان لتلقي التعليم الديني. هناك رأينا صراعات داخلية بين مجموعات المجاهدين الأفغان. لقد رأينا الحياة الباذخة لبعض قادة الجهاد. كان من المخزي للغاية أن يجني مكاسب الحرب مجموعة من الملتحين في شوارع بيشاور ممن تورطوا في قتل الكتّاب والأساتذة من اللاجئين الأفغان مثلهم مثل الرجال أصحاب الشوارب أعضاء جهاز الاستخبارات (خاد).

بعد سقوط النظام الشيوعي رأينا وحشية "المنتصر في الحرب". شاهدنا مليشيات في المدن والقرى وعلى الطرق السريعة. لاحقًا، شوهد القتلة من أصحاب اللحى الذين قتلوا مواطنين أفغان نيابة عن داعميهم الغربيين وهم يتجولون في مدن المملكة المتحدة وألمانيا مرتدين سراويل وبدون لحى!!! فهؤلاء الذين قتلوا الآخرين بسبب فتاوى دينية أداروا ظهورهم لنفس الدين عندما تعارض مع مصالحهم ورغباته الشخصية. وقد سمعت شيئا من الكاتب والشاعر عبد الباري جهاني عن ذلك. وروى أنه شاهد قصيدة على طاولة مطربة أرسلها الملا أسعد الله حنفي عضو إحدى الجماعات الجهادية حيث طلب من تلك المطربة أن تغني أشعاره، وهي مطربة سبق أن غنت أغاني

للطيارين الشيوعيين من حزب "خلق" ممن قصفوا منازلنا. لكن المطربة رفضت أن تغني شعره بحجة أن كلمات الملا خشنة وثقيلة على الغناء.

بعد انضمامنا إلى المدرسة، لم نعتقد أبدًا أننا سنحتاج يومًا ما إلى أسلحة لمواجهة هؤلاء المتوحشين. وبالمثل، كان هناك وقت فكرت فيه في الحاجة إلى الانضمام إلى حركة طالبان، لكنني لم أفكر مطلقًا في أنني سأستمر في ذلك حتى النهاية. ظننت أنني سأستأنف تعليمي الإسلامي بعد عامين. جئت إلى مبنى وزارة الثقافة والإعلام في موقف لم أكن فيه على استعداد لترك الحركة أو حمل السلاح. لكن قدري أصبح أكثر تعقيدًا بالانضمام إلى هذه الوزارة ذات الطبيعة الناعمة، ومجتمع الشعر والقصائد. ذهب قائد الوزارة إلى كابول واعتبرني أصدقائي مؤهلاً لشغل منصب المسئول في قندهار بدلا منه. في اليوم الأول، شعرت كأن ملائكة تهمس في أذني. وأصبحت متشككًا بشأن مستقبلي، لكنني عزيت نفسي أنه بعد عام أو عامين سأعود بالتأكيد إلى المدرسة الدينية.

في 11 أبريل 1998، وقع حادث غمرني تمامًا في الماضي. كنت أفكر في والدي طوال اليوم. في منطقة "ميان كوه" شمال مدينة قندهار، تم التعرف على مقبرة جماعية بالقرب من أحد الجبال بعد اعتراف شيوعي سابق في جهاز الاستخبارات الشيوعي "خاد". كنت أزور نفس المنطقة مع عدد قليل من الضيوف. رأينا قلة من الناس يحفرون في حفرة كبيرة، ويكتشفون عظاما بشرية. كانت هذه المقبرة الجماعية لعلماء مسلمين ورجال دين من قندهار والمحافظات المجاورة قتلوا على يد جهاز الاستخبارات "خاد" بعد الانقلاب الشيوعي.



حاولت البحث عن المسؤول الشيوعي القاتل المسؤول عن هذه المقبرة الجماعية وإطلاق سراحه، وذلك بالعمل مع نجل سليمان زيراك الرئيس السابق لجهاز "خاد". كنت أرغب في مسامحة هؤلاء القتلة ذوي اللحى والشوارب البيضاء من باب التسامح الإسلامي والإنسانية والعاطفة تجاه شيخوختهم. بدا لي أنه من الأفضل أن يعيشوا مع أطفالهم وأحفادهم. كنت أسامح قاتل والدي بنفس الروح. لم أفكر أبدًا أنهم في يوم من الأيام سوف يصبغون لحاهم البيضاء وشواربهم مرة أخرى، ويتعاونوا مع الغزاة لقتل سجناءنا المضطهدين.

عندما عدت إلى المكتب في المساء، أعددت تقريرا عن الحادثة بناءً على ما ورد في ذهني من أفكار. وبدلاً من المذيع المعتاد، قمت بتقديم الأخبار المسائية في الراديو. وعندما غادرت الاستوديو، شعرت أنني طفل يتيم وبكيت على قبر والدي.

تلقيت اتصالاً من والي قندهار الراحل "محمد حسن رحماني" حيث قال إن إذاعة "بي بي سي" تريد التحدث معي عن المقبرة الجماعية التي عُثر عليها في "ميان كوه". سأعطيهم رقمك، أخبرهم بما قلته في الراديو.

لم أتحدث أبدًا مع أي وسيلة إعلام حتى ذلك الحين. فقط بسبب تشديد الحاكم علي تحدثت معهم. فلمدة يومين لم يرد كبير سكرتارية "وكيل أحمد متوكل"1 على مكالمة بي بي سي الهاتفية، وكانوا يسألونني عنه. أخبرت متوكل أن مذيع أخبار البي بي سي يسأل عنك. كان متوكل يجلس مع الملا محمد عمر مجاهد، وسمع الملا عمر صوتي في سماعة الهاتف. وبعد مرور بعض الوقت، أخبرني متوكل أن الملا عمر يقول إن عليك

---

[1] - وزير الخارجية الأفغاني آنذاك.

التحدث إلى بي بي سي. كان هذا جديدًا بالنسبة لي، ولذلك رفضت. قال متوكل: لست من يقول هذا، هذا بتعليمات الملا عمر.

لم أكن على علم بتفاصيل الموضوع، ولم تكن لدي خبرة في الحديث عن الأحداث السياسية. ولكن بحثت عن تفاصيل الحادث، وكان هذا بمثابة بداية لي كمتحدث رسمي. واصلت العمل كمتحدث رسمي طيلة السنوات الأربع التالية من الأزمات، ومثّلت الملا عمر في وسائل الإعلام في القضايا الوطنية والدولية.

مرت السنوات بسرعة كبيرة، وانخرطت في أمور أخرى، وفي صراعات. كنا نظن أن السوفييت متوحشون بينما العالم الغربي يحب البشر. بدا غريبًا جدًا بالنسبة لنا أن عشاق الإنسانية هؤلاء يقصفون منازلنا ويقتلون نساءنا وأطفالنا، ويخيفون أطفالنا في الليل.

عندما قصفت الطائرات الحربية الأمريكية قندهار لأول مرة، عثرنا على طرف مقطوع لفتاة قندهارية شابة في منزل مدمر في ميدان "مداد خان" في قندهار. لم تكن هناك علامات نعرف منها جسدها. بدت هذه الساق وكأنها اللوحة الأولى التي يرسمها الغزاة الأمريكيون للأفغان المحبطين.

من ناحية أخرى، أشاد الإعلام الغربي والمتحدثون الأفغان والمستمعون بأسلحة الغزاة الأمريكيين وقواتهم. قلة من قدامى "المنتصرين في الحرب ضد الروس" من المجاهدين كانوا يتوقعون استخدام قنابل أكبر.

كان الوقت الذي قضيته كمتحدث رسمي معقدًا للغاية، ومليئًا بأزمات واجهت أفغانستان وطالبان على المستويين الإقليمي والدولي.

تحتوي هذه الصفحات في الغالب على هذه الأسرار والمعلومات والحوادث. لقد قدمتها في شكل قصص كما قدمت معلومات أخرى في شكل إشارات. هذا الكتاب ليس شكلاً من أشكال إصدار الأحكام. ولا يقوم على رواية أفعال شخص معين، أو كحملة لصالح أي شخص. إنما هو قصة حقيقية مبنية على حوادث شاهدتها أو سمعتها. هذا الكتاب لن يسعد من هم متيمون بطالبان ولا أولئك الذين يكرهونها. آمل أن يكون مصدرًا جيدًا للمعلومات للأشخاص الذين يندرجون بين هاتين الفئتين، وأن يقدم لهم قراءة مفيدة.

من الممكن أن تكون المعلومات التي تلقيتها من الآخرين غير واضحة، ولا ينبغي اعتبار هذا موطن ضعف. لكن في الأجزاء التي أناقش فيها المعلومات التي تلقيتها، قد يكون هناك ميل غير مقصود، وهو ضعف بشري. هناك بعض الحقائق التي يجب علي إخفاءها بسبب القيود الجدية. آمل أن يغفر القراء صمتي على هذه القضايا. نحن نعيش في الشرق، وللأسف هناك مستوى متدنٍ من التسامح، ويعاني المرء من الصعوبات، حتى أولئك الذين يدعون حرية التعبير هم ضد كلامنا.



الفصل الأول: معنى جذور وكلمات "طالب" و"طالبان"



تم تقديم اسم جديد للعالم بحلول نهاية القرن العشرين هو "طالبان". لكن لم تكن هذه الكلمة جديدة بالنسبة لكل الناس. فطالب هي كلمة عربية مأخوذة من كلمة "طالب علم"، والتي تعني المتعلم أو الطالب. صيغة الجمع في اللغة العربية هي"طلبة" و"طلاب". في العالم العربي يُعرف طلبة المدارس والجامعات بطلاب الجامعات وطلاب المدارس سواء كانوا يدرسون دراسات دينية أو حديثة.

في الهند وباكستان، تستخدم الكلمتان "طلبة" و"طالبات "في التعليم الديني أو الحديث. يُعرف طلاب التعليم الحديث في أفغانستان باسم "محصلين" أو "متعلمين"، وهي كلمات عربية أيضًا، ويُعرف طلاب الدراسات الدينية باسم "طالب"، وتُستخدم صيغة الجمع "طالبان" بدلاً من صيغ الجمع العربية. على غرار "أفغانان"- أي أفغان- فإن طالبان هي صيغة الجمع الباشتونية.

من زاوية تاريخية، ففي بلاد فارس وخراسان مثل أجزاء أخرى من العالم الإسلامي خلال الخلافة العثمانية، كان معلمو الأدب والأخلاق يُعرفون باسم "المعلمين" أو "المؤدبين". ولكن تغيرت هذه الكلمات ببطء، وأصبح من الدارج الاستخدام الشائع لكلمات مثل "ملا، مولوي، مولانا".

في المجتمع الأفغاني، يُعرف الملا الذي تلقى تعليمًا دينيًا باسم "مولوي". وكلمة "مولوي" مأخوذة من كلمة "مولانا"، والتي تعني المالك للشيء أو الجليل أو الشخصً الحكيم. والمقصود هنا هو المعنى الثالث. ويُعرف الشخص الذي ينتسب إلى الدراسات الدينية عمومًا باسم "الملا".

أما "آخوند" فهي كلمة فارسية تستخدم للمعلم، وتُستخدم أحيانًا في لغة الباشتو جنبًا إلى جنب مع الملا، فعلى سبيل المثال يُقال "الملا برجان أخوند". وتُستخدم كلمة "أخوند" أيضًا في أفغانستان من قبل المجتمع الشيعي لوصف الإمام أو الملا الشيعي، ويطلقون على ملاليهم اسم "أخوندان". ولكن في لغة الباشتو، تُستخدم هذه الكلمة في سياق مختلف كإهانة، فعندما يُقدم شخص ما "الملا" على أنه نصف ملا فإنهم يقولون: "إنه ليس ملا بل "آخوند".

في الجانب البشتوني من وادي خيبر، يُعرف ابن العالم الإسلامي باسم "أخوند زاده" وهي كلمة تعني ابن الملا أو "أخوند"، ويستخدم هذا التكريم عادة لابن أحد كبار العلماء المسلمين. ولفظ "صاحب زادة" يستخدم أيضا لوصف أبناء علماء المسلمين والصوفية والصالحين. وفي لهجة البشتو، تُلفظ هذه الكلمة عمومًا باسم "صاب زادة". ويستخدم لقب "صاحب حق" أو "صابي حق" أيضًا لابن المدرس أو العالم الإسلامي.

أفغانستان وثقافة الطالب

يعود التاريخ الثقافي لأنظمة تعليم طلبة العلم "طالبان" إلى قرون مضت في أفغانستان. كانت هناك مدارس رسمية محدودة للغاية توفر التعليم الديني. وبشكل عام، كان لكل عالم إسلامي عدد محدود من الطلاب اعتمادًا على قدرته الاستيعابية. وإلى جانب المسجد، خصص كل عالم غرفة أو غرفتين لسكن الطلاب. وقد أطلق عليها طلبة العلم اسم "الحجرة" أو "الديرة". وكان الطعام يقدمه أشخاص مرتبطون بالمسجد.

العلماء المسلمون الذين تمكنوا من توفير التعليم الديني هم أئمة المساجد الكبيرة، وكانت قرية أو اثنتين من القرى الكبيرة تقوم على خدمة المسجد حيث يقوم السكان طواعية في ظل محبتهم للدين بتزويد الإمام وطلبة العلم بالطعام.

وفي حين يُسمى الأطفال الذين يُرسلون إلى المنازل لجمع الطعام باسم "تشريان" أو "تشاني" في الجزء البشتوني من وادي خيبر. كان هناك نوعان من الطلاب في هذه المراكز التعليمية الصغيرة: الأول هم من جاءوا من المناطق المجاورة للأماكن التعليم الديني حيث لم تكن لديهم مصاريف ترتبط بالعملية التعليمية. أما الآخرون فهم طلاب أتوا من مناطق بعيدة للدراسة على خلفية شهرة العالم الذي يتولى التدريس. وكانوا يعيشون هناك خلال الأسبوع، ويذهبون إلى منازلهم بعد ظهر كل خميس ثم يعودون يوم الجمعة. بقيت قلة منهم في أماكن الدراسة لشهور وربما لسنوات حتى إتمام تعليمهم. وكانت مواجهة المشقة والجوع والشعور بالعوز أثناء تلقي التربية الدينية تُعد من دواعي الفخر والحظ السعيد.

يخبر المعلمون الدينيون طلابهم دائما أن مواجهة صعوبات التعليم ليست شيئًا جديدًا في التاريخ الإسلامي. حيث واجه علماء المسلمين المشهورين المحن خلال رحلة التعليم

الديني مثل الإمام البخاري الذي واجه تحديات في البحث عن الحديث النبوي. ويضربون أمثلة بأصحاب الصفة- وهو مكان في آخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى لهم ولا أهل- ويقولون إن نموذج الطلاب المحتاجين المقيمين معًا بدأت في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث لم يكن لأصحاب الصُفة مكان للإقامة، لذلك كانوا يعيشون في غرفة فوق المسجد مبنية بسعف وأغصان النخيل التمر.

يُعتبر أهل الصفة في الإسلام مصدرًا رئيسيًا للصلاح وفهم الإسلام والسيرة والحديث. ويُعد أبو هريرة رضي الله عنه - واسمه الحقيقي عبد الرحمن بن صخر - من أشهر الطلاب الذين رووا أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد واجه العديد من التحديات في هذا الطريق. ذات يوم بسبب الجوع كان مستلقيًا على الطريق الواصل إلى المسجد النبوي، وغير قادر على الحركة، ولم يكشف عن حالته لأحد، ومر الناس عليه حتى جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأخذه إلى بيته. وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: أهل الصُفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد.

خلال القرون القليلة الماضية في أفغانستان والمناطق المحيطة، قُدم التعليم الديني في الغالب من خلال المدارس الدينية التي تكونت مما يُعرف باسم الحجرة. وفي وقت لاحق، تم إنشاء عدد قليل من مراكز التعليم الديني الرسمية والمنظمة، وقد بُنى بعضها بجهود ذاتية والبعض الآخر بجهود رسمية. لكن تلك المدارس نظمت منهجية التعلم والفصول وقواعد الامتحان. ويشمل ذلك مدارس: دار العلوم العربية في كابول، ومدرسة أبو حنيفة، ونجم المدارس في ننجرهار، ونور المدارس في غزني، والأسدية

في بلخ، والمدرسة المحمدية في قندهار، ومدرسة هرات الدينية، ودار العلوم في تخارستان بشمال أفغانستان، وعدد قليل من المدارس الصغيرة وأخرى كبيرة. وفي السابق كان من الصعب جدًا على الطلاب الالتحاق بالمدارس التي يديرها علماء مسلمون مشهورون في أفغانستان حيث يُقبل فقط الطلاب الأذكياء بعد إجراء مقابلات، ولذا كان الحصول على قبول يمثل مصدر فخر للطلاب.

طلبة العلوم الدينية "طالبان" في الجهاد

لعب العلماء المسلمون دورا رائدا في الحروب الشعبية الثلاثة التي خاضها الأفغان ضد بريطانيا. وقد استشهد العديد من العلماء وطلبة العلوم الدينية "طالبان" خلال تلك الحروب. وإن مقابر طالبان الموجودة في مدينة قندهار، وفي منطقة بولداك، وميدان شهيدانو في هرات، ودروزة قندهار[2] دليل على ذلك. وبحسب المؤرخ الأفغاني عبد الشكور رشاد، فإن تلك المقابر هي لطلبة علوم دينية استشهدوا وهم يقاتلون القوات البريطانية.

في الحرب ضد بريطانيا، شارك المئات من علماء الإسلام المشهورين، بمن فيهم الملا مشك عليم أندر (واسمه الحقيقي دين محمد)، ومولانا عبد الرزاق أندر، ونجم الدين أخوند زاده، وحجي صاحب تورانجزاي، وعائلة مجددي من كابول، ومولانا أمير محمد المعروف باسم شيكارو ملا صاحب، وسعيد محمد شاه أكبر المعروف باسم ساركانو ملا صاحب، ومولوي عبد الكريم الذي قاتل إلى جانب جان آباد ملا صاحب، وشيخ المشايخ عبد الغفور من سوات، ومولوي فيض محمد، ومولوي عبد

[2] ـ الدروزة هي البوابة الضخمة للمدينة أو القلعة باللغة الفارسية.



الله غزنوي ضمن قائمة طويلة جدا. كان لكل من هؤلاء العلماء مئات الطلاب الذين شاركوا في تلك الحروب.

الأمير عبد الرحمن الذي عمل مع المحتلين في ذلك الوقت، تحدث في كتابه "تاج التواريخ" عن العلماء المسلمين الذين انضموا إلى محمد أيوب خان الذي انتصر في معركة مايواند الشهيرة ضد بريطانيا. وقد كتب: كان لدى محمد أيوب خان أسلحة محدودة للغاية وعدد قليل من المقاتلين، لكن الملالي الجهال الذين كانوا ضدي أعلنوا الجهاد. وصب هذا في صالح محمد أيوب خان، وقالوا إني صديق لبريطانيا، وأعلنوا أن منافسي هو الفائز.

المشاكل بين أمان الله خان وعلماء الإسلام


الملك أمان الله خان

في عام 1919، اختير أمان الله خان ملكًا لأفغانستان بعد مقتل والده حبيب الله خان. ونتيجة لجهود الوجهاء وعلماء المسلمين، أعلن الأمير أمان الله خان الاستقلال والجهاد ضد بريطانيا بحضور آلاف الأفغان في مسجد عيدجاه في كابول. ولم تقبل بريطانيا استقلال أفغانستان، مما أدى إلى اندلاع الحرب الثالثة والأخيرة بين الأفغان وبريطانيا. شارك العديد من علماء الإسلام في هذه الحرب إلى جانب قادة أمان الله خان مثل ابنا الخواجة عبد القيوم مجددي، وشمس المشايخ فضل محمد مجددي، ونور المشايخ فضل عمر مجددي من عائلة مجددي. كان نادر خان قائد ساحة معركة "Tal"، وكان معه شمس المشايخ فضل محمد مجددي. وكان

شاه والي خان قائد ساحة المعركة في وزيرستان بدعم من نور المشايخ فضل عمر مجددي.

أثناء قصف الطائرات الحربية البريطانية تراجع قائد المنطقة الشرقية صالح محمد خان على خلفية إصابات طفيفة، وتكبدت القوات خسائر، وأعلن أمان الله خان وقف إطلاق النار. كان عدد قليل من المتدينين والمقاتلين غير سعداء بسبب هذا الإعلان. لقد أرادوا استعادة كل تلك المناطق من بريطانيا التي فصلتها مؤقتًا عن أفغانستان في اتفاق مشهور بين الأمير أمان الله خان والجنرال ديوراند. فبريطانيا لم تلتزم بهذا الاتفاق وهاجمت أفغانستان بشكل متكرر، ولم يعد هذا شرعياً بعد الآن. وقد شعر الأفغان على الجانب الآخر من خط ديوراند بخيبة أمل بسبب هذا الإعلان.

في 19 أغسطس 1919، قبلت بريطانيا استقلال أفغانستان. ومنح الملك أمان الله خان "أوسمة الشمس" الرسمية للعلماء، وأعطاهم لقب "شمس المشايخ" و"نور المشايخ". وفي 10 ديسمبر 1927 ذهب أمان الله خان وزوجته في جولة طويلة إلى أوروبا ثم عادا إلى أفغانستان في يونيو 1928، وأصدر أمان الله خان قرارات مفاجئة غير متوقعة مثل فرض حظر على الحجاب واللباس الشرعي والآذان في كابول، ودعا إلى حرية المرأة وتقليد نمط الحياة والملابس الأوروبية، وفرض حظرا على التعليم الإسلامي.

تعرض الملك أمان الله خان لانتقادات من علماء الدين بمن فيهم "آل مجددي" شركاؤه في حرب الاستقلال. وقد هاجر نور المشايخ فضل مجددي إلى المناطق القبلية المستقلة، وعاش فيها لمدة خمس سنوات. يقال إن الملك كان جادًا جدًا في تنفيذ

إصلاحاته، وعاقب من عارضه. وقد انتفض الناس على جانبي خط ديوراند الحدودي بين أفغانستان وباكستان ضده، وغادر "أمان الله خان" البلاد.

تختلف آراء الباحثين والمؤرخين الأفغان حول إصلاحات أمان الله خان. فبعض الأدبيات الرسمية في عهد الملك محمد ظاهر شاه وبعض كتب التاريخ تزعم أن العلماء ورجال الدين الذين عارضوا أمان الله خان بعد زيارته لأوروبا هم عملاء بريطانيون. لكن بعض الأشياء تساعد الشخص على فهم الواقع. فإذا قدم هؤلاء العلماء كل أنواع التضحيات، فلماذا يعارضون أمان الله خان عندما يبدأ في تكوين صداقة مع أوروبا؟ إذا كانوا عملاء بريطانيين فلماذا دعموا أمان الله خان في الحرب ضد بريطانيا؟!

زار المؤرخ الأفغاني "حسن كاكار" قندهار خلال فترة حكم حركة طالبان، واستضفته حيث أجرينا مناقشة متعمقة حول هذا الموضوع، وما زلت أتذكر كلماته: "لما أراد أمان الله خان تنفيذ ما أسماها بالإصلاحات، كانت المنهجية التي تبناها هي الجنون". لكن تصريحات كاكار لا يلزم أن تكون جديرة بالثقة تمامًا. فخلال العقدين الماضيين في ظل تغير الوضع تغير كلامه حول نفس الموضوع. فقد كان متملقًا وأثنى علينا كثيرًا أثناء حكمنا ثم بعد سقوط حكومتنا بدأ يعارضنا. ومن الممكن أن تكون أقواله آنية تهدف لإسعادنا وقتها.

وبغض النظر عما كان عليه أمان الله خان، فقد كان ينبغي عليه من أجل تنمية البلاد أن يأخذ بشكل ايجابي في اعتباره المصالح الوطنية واحترام المعتقدات الدينية. وجب عليه أن يضفي لمسة أفغانية على التطور المنشود بدلاً من اللمسة الغربية والجهود الشريرة لتغيير الثقافة وانتقاد القيم الدينية. كان ينبغي أن يبدأ تلك الحركة بحكمة

آخذا في حسابه الوضع في أفغانستان، وأن يدعو الجمهور وعلماء الدين للانضمام إليه. كان من الممكن أن يكون هذا مفيدًا له وللبلد ولأهل الدين.

وفقًا لكتب التاريخ، أراد أمان الله خان تغييرًا اجتماعيًا إيجابيًا، وكان متصلبا في كل جانب من جوانب حياته لكنه تردد في مواجهة الصعوبات. من علامات تصلبه أنه كان يلوح بمسدسه ويصدر تهديدات بالقتل في قضايا صغيرة لكن في زمن المقاومة الحقيقية كان يفضل الهروب، وغادر البلاد رفقة أتباعه. ولم يقاوم مثل داود خان ببندقيته حتى الموت، ولم يدعم أتباعه بعد هروبه، وهذا دليل على عدم فعاليته.

بعد هروب أمان الله خان، حدث فراغ في السلطة لبعض الوقت حتى وصل نادر خان إلى الحكم. وعلى الرغم من أن الطبقة الدينية كانت قادرة على الجهاد إلا أنها تميزت بالورع والميل إلى العزلة، ولم يكن علماء الدين منظمين بما يكفي لسد تلك الفجوة رغم أنهم كانوا قادرين على إقامة حكم وطني وإسلامي قوي.

أثناء الفراغ في السلطة، غزا "حبيب الله كلكاني" كابول مع أنصاره بعد شنه لهجوم عليها. وأيد تطبيق أحكام الشريعة لكنه كان عديم الخبرة وغير قادر على التعامل مع الأمور الإدارية. وفي النهاية أطاح "نادر خان" به من الحكومة بمؤامرة، وأعدمه انتقاما منه.

عندما وصل نادر خان إلى السلطة، ألغى قرارات أمان الله خان وبعض التغييرات التي وضعها سلفه فهدأت مشاعر الطبقة الدينية والجمهور. وبعد فترة حكم نادر خان القصيرة (1929-1933)، وأثناء حكم محمد ظاهر شاه (1933-1973)، كانت ظروف العلماء المسلمين جيدة نسبيًا. لكن الفجوة بين المدارس التعليمية الحديثة التابعة للحكومة والعلماء المسلمين اتسعت. وكان العلماء المسلمون مشغولين بالتعليم

التقليدي بينما كانت المدارس الحديثة تبتعد عن الدين يومًا بعد يوم. وتزايد تأثير الفلسفة الماركسية باطراد. وتنامى سلوك طلاب المدارس والجامعات الهادف إلى إهانة علماء الإسلام. وأدى الصمت الطوعي للحكومة ضد هذه الممارسات إلى بروز الشيوعية في أفغانستان.

انخراط الجماعات والشخصيات الدينية في السياسة

في كافة الحروب الثلاثة ضد البريطانيين قاد المقاومة علماء مسلمون، وقبل الحكام آنذاك رأيهم وقرارهم بالمقاومة. كانت الطبقة الدينية بشخصياتها وعائلاتها ذات قيمة للحكام. فالطبقة الدينية كانت نشطة في المجال العام، وفي ذلك الوقت لم تشعر بالحاجة إلى بنية سياسية أو إطار هيكلي خاص بها. لكنها شعرت تدريجياً بالحاجة إلى ذلك مع التغير في الوضع وتعدد التجارب والمحن.

نور المدارس وخدام الفرقان

في مطلع حكم ظاهر شاه، بدأ نور المشايخ فضل عمر مجددي بتنظيم العلماء المسلمين وتأسيس الوعي السياسي لديهم، ولا يزال من الممكن رؤية تأثير هذا التوجه في أفغانستان حتى اليوم.

وفي عام 1942 أسس الملا مشك عليم أندار مدرسة "نور المدارس" في منطقة شالغار في غزنة. كانت هذه المدرسة شديدة التنظيم ولديها أيضًا برامج للتوعية السياسية بالإضافة إلى التعليم الديني. وكان المعلمون منعزلين وركزوا فقط على التدريس. لكن عددًا قليلاً من المعلمين والإداريين وأفراد عائلة مجددي نظموا محاضرات وبرامج لعرض المعلومات العامة والأفكار السياسية والإسلامية. وساهم هذا في تخرج العديد من الشخصيات الهامة في الفكر الإسلامي والنهج الجهادي من تلك المدرسة التي



انتشرت آثارها في جميع أنحاء البلاد. وأدى ذلك إلى إنشاء جمعية "خدام الفرقان" التي بدأت صراعًا أيديولوجيا وسياسيًا. ونشرت هذه الجمعية مجلة تسمى "نداء الحق" كانت الحكومة تحظرها في كثير من الأحيان بسبب الانتقادات السياسية الواردة فيها.

كان يقود جمعية "خدام الفرقان" محمد إسماعيل مجددي نجل نور المشايخ فضل عمر مجددي، وكان نائبه مولوي نصر الله منصور. وكان المولوي عبد الستار صديقي مسؤولاً عن مجلة "نداء الحق". وتولى مولوي رحيم الله زرماتي مسئولية المجلة من بعده، وظل يشغل ذلك المنصب حتى النهاية.

قدمت جمعية "خدام الفرقان" ومدرسة "نور المدارس" التعليم الديني إلى جانب غرس الوعي السياسي. ضمت المدرسة عدة فصول دراسية وصلت إلى الصف السادس عشر بما في ذلك المدرسة الثانوية حتى الصف الثاني عشر. وكانت دراسة الحديث الشريف تنتهي بحلول الصف السادس عشر. أحد شيوخ الحديث كان من خريجي ديوبند، ولذا قُدم مقرر الحديث وفقًا للمدرسة الديوبندية حيث شمل صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وموطأ الإمام مالك وسنن النسائي وسنن ابن ماجه. وانصب التركيز الرئيسي على صحيح البخاري وصحيح مسلم وجامع الترمذي.

امتد وجود جمعية "خدام الفرقان" تدريجياً إلى الجامعات الحديثة. فخلال فترة حكم ظاهر شاه نظم قادة الجمعية احتجاجات ضخمة ضد بعض الأنشطة التي اعتبروا أنها معادية للإسلام. واستمرت الاحتجاجات لبضعة أيام، وخشيت الحكومة من حدوث ثورة عامة فشنت حملة قمع ضد العلماء وسجنت الكثيرين. وانتهت



الاحتجاجات في ظل وعود وتطمينات من الحكومة، لكن المناوئين للإسلام وخاصة العناصر الشيوعية في الحكومة أصبحوا حساسين تجاه عائلة مجددي. ومن ثم نخلال زيارة ظاهر شاه لإيطاليا أطاح به ابن عمه داود خان في انقلاب.

داود خان أحاط نفسه عادة بالشيوعيين، فازدادت المشاكل مع "خدام الفرقان" لكن الحكومة كانت على علم بخلفية عائلة مجددي، ولم تكن قادرة على الضغط عليها أكثر. وفي عام 1385 هجريا أثناء الانقلاب الشيوعي سُجن في البداية جميع أفراد عائلة مجددي باستثناء طفل أو طفلين وامرأة، وأُعدم لاحقا مائة فرد من عائلة مجددي في السجون الشيوعية. وسُجن المئات والآلاف من أعضاء وأتباع خدام الفرقان، وأُعدم معظمهم فيما بعد.

انضم أتباع تلك العائلة ذات النفوذ فيما بعد إلى الجماعات الجهادية مثل حركة الانقلاب الإسلامي، والحزب الإسلامي بقيادة مولوي محمد يونس خالص، ونجاة الملي "التحرير الوطني" - بقيادة عائلة جيلاني الصوفية- والاتحاد الإسلامي، ومن ثم بدأوا الجهاد. ومن بين الشخصيات البارزة آنذاك مولوي نصر الله منصور، ومولوي جلال الدين حقاني، ومولوي شفيع الله، ومولوي رفيع الله مؤذن، ومولوي عبد الستار صديقي، ومولوي رحيم الله زورماتي، وقائد قندهار الشهير لالا مالانج، وقائد زابول الشهير الملا موسى كليم، وقادة جهاديون آخرون في أنحاء أفغانستان.

الإخوان والحركة الإسلامية

بعد الحرب العالمية الأولى، وقعت آخر بقايا الخلافة الإسلامية بقيادة العثمانيين الأتراك ضحية لمؤامرات القوى الغربية، وشعر العالم الإسلامي بالحاجة إلى الوحدة. نتيجة لذلك بدأت حركة الخلافة الأولى في شبه القارة الهندية، ولعب علماء ديوبند



المسلمين دورًا رئيسيًا فيها. وسحق البريطانيون هذه الحركة، لكنها عملت على إيقاظ مسلمي شبه القارة الهندية. وفي عام 1928 أنشأ عالم إسلامي يُدعى حسن البنا وأصدقاؤه حركة الإخوان المسلمين التي هدفت إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر.

مع مرور الوقت، أصبحت هذه الحركة مؤثرة للغاية في مصر. وفي عام 1948عندما فقدت فلسطين استقلالها، بدأ الإخوان المسلمون يرفعون شعارات المقاومة والدفاع عن استقلال فلسطين، وأخذوا يناضلون من أجل هذه القضية. زاد شعار "استقلال فلسطين" من شعبية هذه الحركة الإسلامية الحديثة في مصر والدول العربية المجاورة. وخوفا من انتشار هذا التنظيم الآخذ في التوسع، أعلن رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي باشا أن الإخوان جماعة غير شرعية. وصودرت أصول جماعة الإخوان المسلمين، وسُجن العديد من أعضائها فغضب أتباع الحركة، ويُعتقد أن النقراشي قُتل في 28 ديسمبر 1948 على يد عدد قليل من أعضاء الإخوان. وردا على مقتل النقراشي اغتالت الحكومة الجديدة حسن البنا. وبعد ذلك واجهت الجماعة العديد من المشاكل فضلا عن حظر أنشطتها. وقد نشأت تلك العراقيل بسبب تدخل بريطانيا في المجتمع المصري.

في عام 1954 أُتهم الإخوان المسلمين بالوقوف خلف محاولة اغتيال جمال عبد الناصر، فسُجن نحو مائة من أعضاء الإخوان الرئيسين لمدة خمسة عشر عامًا. ومن أشهر هؤلاء كان سيد قطب الذي كتب العديد من الكتب المشهورة في الفكر الإسلامي. كما ألف كتاباً مشهوراً في التفسير بعنوان "في ظلال القرآن". وقد أُفرج عنه لفترة ثم أعيد اعتقاله، وأُعدم في 29 أغسطس 1966.



أثرت جماعة الإخوان على الدول العربية المجاورة والحركات الإسلامية الأخرى في العالم الإسلامي. ففي سياق السعي لتمكين سلطة سياسية إسلامية، تبنى المسلمون في بلدان مختلفة بما في ذلك أفغانستان وباكستان أنماطًا مماثلة لجماعة الإخوان، ويُعرف أتباع هذه الجماعة بالإخوان.

في باكستان تعتبر الجماعة الإسلامية بقيادة مولانا المودودي من أتباع جماعة الإخوان المسلمين. وأثناء حكم ظاهر شاه في أفغانستان تأسست جماعة إسلامية حركية باسم "النهضة الإسلامية" خلال عام 1331 أو 1332 هجريا على يد مجموعة من الطلاب المسلمين والمعلمين في كلية الشريعة في كابول. وعُرفت هذه المجموعة فيما بعد بأتباع الإخوان. وبعد الانقلاب الشيوعي، اعتُبرت ثلاث من التنظيمات الجهادية هي الوريثة السياسية والأيديولوجية لحركة "النهضة الإسلامية". وكان مؤسس هذه الجماعة هو غلام محمد نيازي من سكان منطقة أندار بغزنة، وعمل رئيسًا لكلية الشريعة بجامعة كابول، وسبق أن أكمل تعليمه العالي بجامعة الأزهر في مصر.

لقد تأثر غلام نيازي بأيديولوجية الإخوان، وبدأ نوعًا مشابهًا من النضال السياسي في أفغانستان. وهناك نظرية أخرى مفادها أن غلام محمد نيازي كان مصدر الفكر، بينما تلميذه عبد الرحيم نيازي هو المؤسس. وقد قُتل الأتباع الرئيسيون لهذه الحركة إبان حكم داود خان والشيوعيين. كما انضم عدد قليل من العلماء المسلمين إلى هذه الحركة حيث كان للأستاذ نيازي علاقات مع علماء مسلمين مشهورين وأخذ بنصائحهم في العديد من القضايا.

في مراكز التعليم الحديثة، برزت هذه الحركة المتأثرة بالإخوان ضد الإيديولوجية اللينينية الماركسية والحركات المناهضة للإسلام التي كان الحكام آنذاك يدعمونها.

وبعد الانقلاب ضد داود خان، جرى سجن وإعدام العديد من الأعضاء الرئيسيين في هذه الحركة، وأُجبر بعض الأعضاء على الهجرة إلى باكستان.

في عام 1385 هجريا بعد الانقلاب الشيوعي، لم يتمكن أعضاء الحركة الإسلامية من الاتحاد في تنظيم جهادي واحد حيث اعتبرت الجماعة الإسلامية والحزب الإسلامي نفسيهما الورثة الفعليين للحركة الإسلامية. وأدت تلك الخلافات إلى التنافس بين هذه التنظيمات على السلطة السياسية. وكان هناك أفراد نشيطون آخرون، ومجموعات صغيرة، وجمعيات ومنظمات لعلماء إسلاميين وشخصيات روحية، لكنهم لم يكونوا مؤثرين على مستوى بارز.

الانقلاب الشيوعي وبداية الجهاد

خلال حكم داود خان، كان الشيوعيون في حزبي خلق وبرشام مؤثرين للغاية. كان داوود خان يخاف الإسلاميين ويثق بالشيوعيين. وخلال الأيام الأخيرة من حكمه ساءت علاقته مع زعيم الاتحاد السوفيتي بريجنيف. وخلال اجتماع في موسكو أعرب بريجنيف عن قلقه من تواجد فنيين تابعين للناتو في شمال أفغانستان، فرد داوود خان عليه بوقاحة، وانتهت المحادثات دون نتيجة. وقرر داوود خان طرد الشيوعيين من الحكومة في ذلك الوقت، لكن سار الشيوعيون على خطى آثار أقدام السوفييت وحاولوا القيام بانقلاب دموي في البداية بقيادة حزب خلق، وأصبحوا حكام أفغانستان ثم بعد حوالي ستة عشر شهراً ونصف قتل حفيظ الله أمين رئيس الحكومة نور محمد تراقي واستولى على السلطة، ثم قُتل حفيظ الله أمين على يد حزب برشام الشيوعي، وجاء بابراك كرمل مع السوفييت إلى كابول على متن الدبابات والمدرعات، وكان هذا عمليا بداية غزو الاتحاد السوفياتي لأفغانستان.

لم يكن الشيوعيون على دراية بأيديولوجية الأفغان ومعتقداتهم وثقافتهم. وفي البداية لم يرفضهم الناس، ووقفت قلة قليلة من الشعب إلى جانب الشيوعيين من أجل الموارد والمصالح الشخصية أو بسبب الخوف. وأظهرت غالبية الشعب حساسية تجاه الشيوعيين الذين استهدفوا بوحشية أصحاب الأيديولوجيات المختلفة عنهم أو الذين عارضوهم عملياً كما استهدفوا الطبقة الدينية، واختفى قسراً كل عالم إسلامي وشخصية روحية حظيت ببعض القبول العام. فُقد ما يقرب من مائة ألف شخص من علماء الإسلام والزعماء الروحيين وأعضاء الحركات الإسلامية، وعرفت الأمة أخبار استشهادهم بعد أكثر من عقد من الزمان.

لعب العلماء المسلمين الدور الفعلي في الجهاد ضد الشيوعيين. ففي المناطق النائية بأفغانستان، هاجم الأفغان المباني الحكومية والمسؤولين باستخدام العصي والفؤوس والمجارف فقط. وقاد هذه الثورة الملالي المحليون. وفي أثناء حكم داوود خان حاول الإسلاميون الأفغان المقيمون في باكستان الجهاد ضد الحكومة لكنهم لم يحظوا بتفاعل إيجابي من الشعب. ولكن عندما أعلن الملالي الجهاد بدأ الناس في القتال باستخدام الفؤوس والعصي. وأعطت هذه الثورة الحياة للقوى العالمية المناهضة للاتحاد السوفيتي، والتي دعمت بدورها المجاهدين ووفرت المأوى للاجئين.

تشكيل مجموعات المجاهدين في باكستان

في عهد داود خان كان يختبئ عدد قليل من الإسلاميين في باكستان حيث بدأوا في تنظيم أنفسهم لتأسيس مقاومة وطنية. واتحدت هذه التنظيمات مرتين تحت قيادة زعيم واحد ثم انقسمت مرة أخرى. فبعد انقلاب عام 1358 هجريا كان برهان الدين رباني وقلب الدين حكمتيار ومولوي محمد يونس خالص ومولوي جلال

الدين حقاني ومولوي نصر الله منصور وأصدقاؤهم يتطلعون إلى تأسيس جماعة جهادية منظمة وموحدة. ونتيجة لجهود علماء المسلمين اتفقوا على التوحد في ذلك العام تحت قيادة مولوي محمد نبي محمدي ضمن تنظيم "حركة الانقلاب الإسلامي". ثم انقسم هذا التحالف عندما انسحب منه رباني وحكمتيار في نفس العام، لكن معظم العلماء المسلمين ظلوا في تنظيم مولوي محمد نبي مثلما فعل مولوي محمد يونس خالص.

في عام 1358 هجريا ذهب عبد رب الرسول سياف إلى بيشاور، وجرى تشكيل تحالف بين الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار والجمعية الإسلامية، والحزب الإسلامي جناح مولوي يونس خالص. واختير سياف كزعيم لهذا التحالف المؤقت. لكن بعد بضعة أشهر اتهمت التنظيمات التي اتحدت معا سياف بالفساد المالي، وانقسم هذا التحالف. وكتب مولوي خالص عن هذا مقالا في إحدى المجلات.

أسس سياف تنظيما خاصا به باسم "الاتحاد الإسلامي" بالتنسيق مع باكستان وقوى أجنبية، وحصل على أموال ضخمة وأسلحة. وفي البداية لم يكن لتنظيمه دورا رئيسيا في أفغانستان. لكن القادة الذين تركوا جماعاتهم بسبب نقص الأموال والأسلحة انضموا إلى تنظيم سياف. وخلال الأيام الأخيرة للجهاد برز عدد قليل من القادة من جماعة سياف. وقد واجه سياف نقصاً في القوى العاملة، لكن توافر لديه ما يكفي من الأسلحة والأموال. وكان هناك عدد قليل من القادة يبحثون عن هذا الأمر، وقد حصل القليل منهم على أسلحة وباعوها فيما بعد مقابل المال. كانت هذه المنظمة مصدرًا جيدًا لمثل تلك الأنشطة.



ومن بين نجاحات سياف أنه نجح في جذب المجاهدين العرب عبر صنع رمزية شعبية له في العالم العربي. وقد فتحت صداقته مع العرب خاصة علاقته الوثيقة مع عبد الله عزام الباب أمام الدعم المقدم له من الحكومات والجمعيات الخيرية. وفي الاجتماعات الخاصة وفاعليات التمويل طلب سياف الأموال كممثل لجميع المجاهدين لكنه احتفظ بمعظم الأموال لصالح جماعته.

منذ أن كان للملالي وأتباعهم دورا رئيسيا في الانتفاضة العامة، تمتعت كل مجموعة لديها عدد أكبر من الملالي بالقوة في البداية، ثم انضم معظم طبقة الملالي إلى "حركة الانقلاب الإسلامي" بقيادة الملا محمد نبي لأنها كانت جماعة تحظى بدعم شعبي أكبر من الجماعات الجهادية الأخرى. ولكن بسبب أوجه القصور لديها من قبيل عدم الانضباط والاضطراب ونقص الأسلحة والخلافات الداخلية نمت هذه الجماعة بشكل أضعف، وانضم العديد من قادتها إلى الجماعات الأخرى الأكثر ثراءً.

أما التنظيم الكبير رقم اثنين في الساحة فكان الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني، حيث برز فيها قادة مؤثرون مثل أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان ثم يأتي الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار في المرتبة الثالثة، وبقي كذلك حتى النهاية.

في بيئة باكستان المليئة بالدعاية قُدم الحزب الإسلامي باعتباره المنظمة الرئيسية الرائدة. وقدمت باكستان والداعمون الآخرون أموالاً ضخمة له وأسلحة تفوق طاقته. لقد كان الحزب قويا جدًا في دعايته، كما حظي بدعم عدد قليل من الجماعات والجهات الباكستانية.

منذ أن كان العالم يراقب المجاهدين في بيشاور كان لبعض الأجانب أيضًا وجهات نظر مماثلة. حتى أن الجنرال الروسي بوريس جروموف أخطأ في مذكراته خلال حديثه



عن حكمتيار، فحين كتب عن معركة السوفييت في قندهار التي استمرت أربعين يوما ضد الملا النقيب ومجموعة أخرى من "حركة الانقلاب الإسلامي" قال إن تلك المعركة كانت عنيفة للغاية لأن حكمتيار جاء بنفسه إلى ساحة المعركة. لكن الجميع في قندهار كانوا يعلمون أن تلك القوات التي قاتلت تتكون من مقاتلي الملا النقيب ومجاهدي "حركة الانقلاب الإسلامي" الآخرين. فقد كسر الحصار الملا برجان من بانجواي، وكان الملا نقيب مرتبطا بحركة "الانقلاب الإسلامي" ثم انضم لاحقا إلى الجمعية الإسلامية. وبالمثل، فإن الدبابات والمروحيات المدمرة في بعض المناطق كانت من عمل مجموعات أخرى، لكن أعضاء الجناح الإعلامي في الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار نشروا صوراً للمعدات المدمرة في مجلاتهم الأسبوعية وغيرها، وادعوا وقوفهم خلف استهدافها. وهذا هو السبب في أن الحزب الإسلامي عُرف بأنه جماعة متشددة بارزة في بيئة بيشاور، لكن الواقع كان مختلفًا تمامًا.

على مستوى المجتمع في أفغانستان، كان لدى "حركة الانقلاب الإسلامي" وحكمتيار ويونس خالص أكثر من ستين في المائة من المجاهدين في حين أن الجمعية الإسلامية داخل أفغانستان لم يكن لديها حتى ما يصل إلى 20% منهم. لكن الجمعية كانت مميزة بسبب وجود قائدين كبيرين مثل أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان، وكذلك من خلال التحكم في تجنيد الحكومة -عندما شكلوها- لقادة جدد بسبب مواردها المالية.

لم يُنسب أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان إلا إلى كونهما من الجمعية حيث اعتبرا نفسيهما قوى منفصلة على المستوى الإقليمي. وأطلق مسعود على منظمته اسم "شورى نظار" – يُعرف باسم مجلس الإشراف على الشمال، وقد تأسس في عام 1984 في مقاطعات تخار وبدخشان وبلخ وقندز الشمالية، وضم حوالي 130 من قادة الجهاد



من 12 منطقة بشمال وشرق ووسط أفغانستان. كما قاد إسماعيل خان "مجلس شورى" آخر تواجد في ثلاث محافظات.

تظهر قوة وشعبية هؤلاء القادة أيضًا في أنهم أجبروا قادة صغار من الجمعية الإسلامية والجماعات الأخرى على اتباعهم باستخدام تكتيكات مختلفة. حيث يتردد أنهما أعدما بعض القادة الصغار بسبب معارضتهم لهما. ويُعتقد أن إسماعيل خان قتل في ظروف غامضة بعض القادة من هرات وبادغيس. كما اتهم مسعود بقتل العشرات من القادة بدءاً من الأيام الأولى للجهاد، حيث أُتهم بقتل نائبه "أمير بهلوان أحمد جان" بحجة ضلوعه في مؤامرة ذات علاقة الحكومة.

الصراع بين الحزب الإسلامي والجمعية الإسلامية

بدأ الحزب الإسلامي والجمعية الإسلامية في البداية حربا سياسية ودعائية ضد بعضهما البعض ثم تحول الأمر لاحقا إلى نزاع مسلح. فقبل عام من الانقلاب الشيوعي في أفغانستان انضم أعضاء ينتمون إلى حركات مختلفة ممن فروا من داود خان إلى حزب واحد ثم انشق رباني وحكمتيار فيما بعد عن الحزب المذكور.

حاول حكمتيار قتل رباني وأحمد شاه مسعود عبر الترتيب لإطلاق النار في بيشاور على منزل القائد المجاهد الشهير آدم خان. وبحسب الأستاذ ياسر[3] ومحمد زمان مزمل، كان مسعود ورباني لحظة الهجوم ضيوفا على آدم خان. وقد أعطى حكمتيار مسدسات للحاج دين محمد ومولوي سارفراز ومولوي زاهد لقتلهما، ولكن عندما أدرك آدم خان الموقف، تمكن من حماية رباني ومسعود في الوقت المناسب.

[3]- قيادي سابق بالجمعية الإسلامية عمل وزيرا للإعلام في حكومة أحزاب المجاهدين ثم انضم لاحقا إلى طالبان عندما ظهرت حيث تولى منصب رئيس اللجنة الثقافية بالحركة، ثم اعتقل مرتين عقب الغزو الأمريكي، ويتردد أنه توفي في المعتقل.

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي شمال أفغانستان، قتل قادة الحزب الإسلامي خصومهم حيث استهدفوا مجموعة من قادة أحمد شاه مسعود. ورد أحمد شاه مسعود بقتل قائد الحزب الشهير سيد جمال وستة قادة بارزين آخرين في الشمال. وبدأت الحرب بين الأحزاب الجهادية بعد تلك الأحداث، وأثرت الخلافات كذلك على ساحة المعركة الدعائية في بيشاور. فقد نشر الحزب الإسلامي والجمعية الإسلامية كتباً ومجلات ضد بعضهما البعض واستخدما لغة بذيئة. ولم يستطع أي قارئ لتلك المنشورات أن يعتقد أنها مكتوبة بيد جماعة جهادية فقد تجاوزوا الحدود الأخلاقية عبر تضمين ادعاءات جنسية في دعايتهم. لقد قرأت موادهم المنشورة خلال طفولتي في بيشاور، وكانت تتضمن أشياء لا يستطيع كاتب مسلم أن يكتبها أو أن يناقشها بالتفصيل.

لم تكتف الصحيفة اليومية للحزب الإسلامي الصادرة في بيشاور باسم "شهادات" باستخدام لغة بذيئة ضد الجمعية الإسلامية بل فعلت ذلك أيضا ضد الجماعات الجهادية الأخرى. ففي عام 1989 نشرت صحيفة "شهادات" صورة لفتاة أفغانية تقف بجانب رجل إنجليزي قائلة: "إنها ابنة زعيم جماعة ملي نجاة - جبهة التحرير الوطني- صبغة الله مجددي". في ذلك الوقت، كان مجددي زعيمًا للحكومة الانتقالية بالمنفى في باكستان. ورغم أنه جرى التأكيد في اليوم التالي على أن مجددي ليس لديه ابنة، فلم تعتذر الصحيفة.

هذه المعارضة اللاذعة وتلك الإخفاقات الأخلاقية حوّلت كابول إلى رماد. فمن ناحية أخرى اتُهم عناصر من استخبارات الحزب الإسلامي بقتل المجاهدين المنافسين والقادة والمواطنين والعلماء. وقد أخبرني مهندس صديق ذات مرة قصة عن جلوسه في سيارة مع الحاج "مالك قمر" مسؤول الاستخبارات رفيع المستوى بالحزب



الإسلامي. حيث أشار الحاج مالك إلى منزل في بيشاور ضاحكًا، وقال إن أهل هذا المنزل لا يعرفون عدد الأشخاص الذين قتلتهم ودفنتهم في باحته. فقد سبق أن استأجر هذا المنزل وقتل العديد من الأشخاص ودفنهم فيه.

برز حكمتيار بفضل التنظيم الجيد لحزبه فضلا عن كونه قائدا نشيطا لكنه زرع بذور عدم التسامح في الثقافة الجهادية في أفغانستان حيث كان عدوانيا للغاية في السياسة والدعاية. ولقد عامل منافسيه من المجاهدين بوحشية في كل من الجيش والاستخبارات. وخلال في الأيام الأولى للحرب كان يعتبر خصومه السياسيين والعسكريين شيئا واحدًا.

دور العلماء المسلمين وطلبة العلوم الشرعية "طالبان" في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي

كانت الطبقة الدينية - وخاصة الملالي الذين حصلوا على بعض الدعم العام - الهدف الأول بعد الانقلاب الشيوعي. فقد صرح الشيوعيون الأفغان علانية بأن الشيوعية نجحت في الاتحاد السوفياتي بعد أن قتل ستالين 20 مليون من الروس. ومن ثم قالوا سنقتل أيضا بضعة ملايين من الأفغان. لكن في أفغانستان كانوا بحاجة إلى قتل المزيد من الناس - حيث لم يكن الشعب مستعدا لقبول الشيوعية، وبالتالي سيصبح من المفترض عقاب أكثر من 90٪ من الشعب الأفغاني. نفذ الشيوعيون فلسفة ستالين إلى حد ما بقتل الأفغان الأبرياء. ولو أخَّرَ الأفغان ثورتهم ضد الشيوعيين لربما أفسحوا الطريق أمامهم لتنفيذ خطتهم بقتل بضعة ملايين من الأفغان.

قُتل أكثر من مليون أفغاني أثناء معارضة الشيوعيين. قُتل معظمهم دفاعاً عن النفس وخلال المقاومة بدلاً من التعرض للأسر. واقتُلعت الشيوعية من أفغانستان ودول أخرى بسبب تلك التضحيات. شكّل العلماء المسلمون جزءًا كبيرًا من أولئك الذين



خاضوا النضال العسكري والسياسي ضد الشيوعية. ولاحقا ظهرت حركة طالبان إلى الوجود كاستمرار لنفس النضال.

الكفاح العسكري

لقد دُعي الشعب للانخراط في الجهاد والثورة الوطنية من قبل الملالي المدعومين من عامة الناس. ففي باكتيا كان القادة كل من مولوي جلال الدين حقاني ومولوي نصر الله منصور ومطيع الله خان ومولوي فريد محمود والعديد من علماء الإسلام الآخرين. وفي غزني: قاري بابا ومولوي حياة الله (ملا كاكا) ومولوي جول محمد ومولوي نك محمد ومولوي بهادر خان ومولوي مؤذن ومولوي عبد الحكيم ومولوي عبد الرحمن ومولوي فقير والملا فيض الحق (أمير مقاطعة ناوه) والملا عبد السلام (حاج سلام)، قاري عبد الله دانش وقاري عبد الله من جناح آباد، فضلا عن جبهات العديد من علماء الإسلام المعروفين وطلبة العلوم الشرعية والقراء.

في كابول، كان مولوي شفيع الله وشقيقه مولوي صديق الله من الجهاديين المشهورين. وقد بدأ قادة مولوي محمد يونس خالص مثل الملا موسى كليم الجهاد في زابل حيث كان معظم أفراد مجموعته من طلبة العلوم الشرعية. وكذلك الملا مداد خان قبل استشهاده. ومن بين طلبة العلوم الشرعية الملا عبد السلام روكتي والملا عبد الكريم والملا عبد القهار وزعيم طلبة العلوم الشرعية "طالبان" في شجوي الملا عبد الغني.

كان للمولوي محمد يونس خالص التأثير الأكبر في ننجرهار بينما كان للمولوي جميل الرحمن العديد من أعضاء جماعته في كونار. وفي لغمان كان مولوي عبد الرحيم حنفي مجاهدا شهيرًا قبل أن يُقتل على يد الحزب الإسلامي. وفي لوغار كان مولوي



عبد الأحمد (المعروف باسم الحاج عبد الأحمد) زعيم حركة الانقلاب الإسلامي بالمنطقة. وأيضا كان الملا خوشال والملا داوود ومولوي منور والملا كتيم (الذي شغل منصب حاكم لوغار أثناء حكم رباني) والعديد من العلماء المسلمين وطلبة العلوم الشرعية قادة لجبهات وجماعات جهادية معروفة.

في الساحة السياسية في بيشاور، كان من بين العلماء المسلمين المشهورين من لوغار مولوي محمد نبي محمدي (أمير حركة الانقلاب الإسلامي) حيث كان من سكان عباس قلعة في مقاطعة براقي. كذلك من الشخصيات التي تستحق الذكر كلا من مولوي زابتو خان ومولوي محمد مير ومولوي موسى جان ومولوي فضل أحمد ومولوي هاشمي، مولوي سعيد أكبر ديلاور (والد مولوي شهاب الدين ديلاور القيادي بطالبان) ومولوي فرقاني.

في قندهار برز الملا نقيب الله والملا مالانج، ولالا مالانج ، والملا محمد رباني، والملا برجان، والحاج ملا محمد، والملا نك محمد، والملا عبيد الله، والملا محمد صادق، والملا يار محمد، والملا فيض الله أخوند زاده، والملا محمد عمر مجاهد، والملا نور الدين ترابي، والملا عبد الغني برادر، والملا مشار، والملا محمد حسن رحماني، والملا محمد غوث، وغيرهم الكثير من الملالي وطلبة العلم المشهورين الذين إما كان لديهم جبهات يقاتل فيها طلبة العلوم الشرعية أو كانوا يقودون مجموعة جهادية أو كانوا مشغولين في الجهاد في جبهات أخرى كنواب للقادة أو كمقاتلين منخرطين في الجهاد.

في هلمند كانت هناك مجموعات شهيرة مثل: نسيم آخوندزاده، والرئيس الملا عبد الواحد، ومولوي عطا محمد، ومولوي باز محمد. وفي أوروزجان الملا عبد الرحيم، ومولوي عبد الغني، والملا عبد الله، والملا محمد شفيق، والملا عبد الملك، والمولوي



جبار، والملا راوي محمد، والملا محمد عباس، والقائد عبد الودود، وملا محمد صادق، وملا مشار، ومولوي محمد شريف وغيرهم.

وكان لمولوي جلال الدين حقاني ومولوي نصر الله منصور نفوذاً في خوست وبكتيا، بينما امتلك مولوي منصور نفوذاً في بكتيكا وغزنة. وحاز مولوي جلال الدين حقاني قوة جهادية رئيسية في المنطقة، فهو عالم إسلامي بارز ولديه مدرسة كبيرة عبر الحدود الأفغانية الباكستانية، وقاتل على خط المواجهة، وكان معظم مقاتليه وقادته من طلاب العلوم الشرعية "طالبان". ومن أبرز قادته الملا رحيم الله (زدران)، والملا دين محمد، والملا شاه زاده من قندهار، والملا بدر الدين من بكتيا، والملا داوار خان والملا شاه والي من غزنة.

في الجنوب والجنوب الغربي، كان الناس على دراية بالمجموعات المسلحة التابعة لطلاب العلوم الشرعية وعاداتها وسماتها وخصائصها. لكن بسبب الدعاية أو الافتقار إلى المعرفة اعتبر عدد قليل من الناس أن طلبة العلوم الشرعية "طالبان" ينتمون إلى جماعات متشددة أو جهادية تابعة لدولة أخرى.

ولعب المقاتلون من طلبة العلوم الشرعية في تلك الجبهات دور النواة لحركة طالبان. حيث تعرف عليهم الناس والمجاهدون في مناطقهم ورأوا أخلاقهم وبراعتهم القتالية. ودعمتهم الجماهير على الفور، ولم يتمكن المجاهدون والملالي الذين حادوا عن الطريق الصحيح من مواجهتهم حيث استمروا في المقاومة لفترة محدودة للغاية، وفضلوا الهرب لاحقًا.



الهياكل السياسية

كان لتنظيم "حركات - حركة الانقلاب الإسلامي" بقيادة مولوي محمد نبي محمدي هيكلا سياسيا دائما يُسمى جمعية " طلبة حركات" وكان رئيسها يُعرف باسم رئيس الطلبة. وباستثناء نضال الجمعية في مجال الدراسات الدينية والمنشورات والتربية السياسية لم يكن لها أي تأثير على قادة الحركة الميدانيين ومقاتليهم داخل أفغانستان. وكان لديها مكاتب في بيشاور وكويتا. وقد تبع طلبة العلوم الدينية "طالبان" من المقاطعات الوسطى والشرقية والجنوبية الشرقية مكتب بيشاور، بينما تبع طلبة المنطقة الغربية والجنوبية الغربية والجنوبية مكتب كويتا.

وقد تولى مولوي وكيل أحمد متوكل رئاسة مكتب كويتا، في حين تولى مولوي إحسان الله إحسان رئاسة إقليم قندهار. وقد أصبحا فيما بعد شخصين معروفين في حركة طالبان. وكان لجمعية "طلبة حركات" قادة في الولايات أيضًا. وتمثل الهدف الرئيسي للجمعية في خلق وعي بين المتدينين من طلبة العلوم الدينية "طالبان" حول السياسة الإقليمية والدولية، وعقد لقاءات ونقاشات حول القضايا المهمة، وترتيب البرامج التعليمية.

لم يكن دور جمعية الطلبة قوياً ومنظماً في تنظيم مولوي محمد نبي محمدي لأن اهتمام القيادة بها لم يكن دائما. ومن ثم أسس مولوي نصر الله منصور "مجموعة حركات" منفصلة. وكانت المجموعة التي أسسها نشطة وفعالة لأن مولوي منصور وثق في طلاب المدارس الدينية، واعتبر هذا الجيل الشاب بمثابة قادة المستقبل لأفغانستان. وكرر في برامج التدريب والاجتماعات أن هذا الجيل الديني الجديد يمكن أن يلعب دورًا خاصا في السياسة المستقبلية لأفغانستان.

نظم نصر الله منصور هذا الهيكل السياسي الجديد الذي أطلق عليه "تنظيم الطلبة"، وضم شيوخًا من جميع الولايات بالإضافة إلى مناطق بارزة من باكستان، وكان الأفغان يشكلون أغلبية. وقدم التنظيم الجديد برامج تعليمية أسبوعية لتجنيد أو جذب الطلاب من المدارس العصرية والدينية. وجرى تعيين طلاب من الجامعات والمدارس العصرية كقادة في بعض المجالات. وقاد هؤلاء الشباب وألقوا دورات في التربية السياسية، ومحاضرات أمام الآلاف من الحاضرين حول قضايا تاريخية وحوادث مهمة. ووجه مولوي منصور طلابه لتعلم اللغة الإنجليزية والعربية الأمر الذي جعل العديد من كبار الملالي ينتقدونه.

نشر "تنظيم الطلبة" ثلاث أو أربع منشورات، وكان أحد هذه المنشورات ذائع الصيت بين المنشورات الصادرة في بيشاور، وقد صدر في شكل مجلة أسبوعية تسمى "كوثر" بقيادة محمد أمين فروتان الذي شغل منصبا قياديا في الحزب الإسلامي ثم ترك الحزب فيما بعد لأسباب معينة، وانضم إلى المولوي منصور نائباً له. وفي ظل انتقاده لحكمتيار في مجلة "كوثر" حاولت استخبارات الحزب الإسلامي قتله لكنه نجا وأصيب بجروح خطيرة في الرأس منعته من مواصلة نشاطه.

من رحم "تنظيم الطلبة" برز العديد من الأشخاص ممن كانوا قادرين على القيام بأعمال إدارية لاحقا في حكومة رباني وحكومة طالبان حتى أنه قيل في عهد نظام طالبان أن فلاناً يفهم الإدارة لأنه قضى وقتاً في تنظيم مولوي منصور.

وقد شارك شباب من حركة الانقلاب الإسلامي والحزب الإسلامي في جلسات مولوي نصر الله منصور التعليمية حول السياسة والتعليم. لذلك كان منصور مؤثراً

للغاية في صفوف طلبة العلوم الدينية الذين انضموا لاحقا إلى حركة طالبان، ومن ثم استخدم العديد من شبابها اسم "منصور" كاسم مستعار في أسمائهم.

ومن الشخصيات الشهيرة في حركة طالبان من أتباع مولوي نصرالله منصور: مولوي محمد طاهر أنوري (وزير المالية ووزير التخطيط)، ومولوي عارف الله عارف (محافظ غزنة ووكيل وزارة المالية) قاري أحمد الله (قائد الشرطة في ولايات قندهار وزابل ونمروز، ووزير الداخلية ورئيس الاستخبارات في عهد طالبان)، ومولوي رحيم الله زرماتي (نائب وزير الإعلام والثقافة)، مولوي أحمد جان (وزير الكهرباء، والمناجم والصناعات) ومولوي إسحاق أخوند زاده (والي لغمان)، المهندس عبد الله جول ريان (رئيس مفوضية حقوق الإنسان)، والأستاذ فايز أحمد فايز (المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية)، وعبد الغفور أفغاني (المتحدث باسم وزارة الخارجية)، وعبد الحكيم مجاهد (ممثل طالبان في نيويورك والسفير الأفغاني في إسلام أباد) وعدد قليل آخر من ذوي المناصب الرفيعة والمتدنية.

كذلك كانت عائلة السيد محمد طيب آغا ومجموعتهم مرتبطة أيضا بمولوي نصر الله منصور، ولكن عندما توقف توريد الأسلحة لمجموعة مولوي منصور، انضموا إلى تنظيم الاتحاد الإسلامي مثل العديد من المجموعات الأخرى.

وقد أنشأ الحزب الإسلامي والاتحاد الإسلامي والملي نجاة (جبهة التحرير الوطني الأفغاني بقيادة صبغة الله مجددي) هياكل سياسية مماثلة لما أسسه مولوي منصور.ففي بداية التسعينيات ببيشاور أرادت الطبقة الدينية أن تشرع في تأسيس حركة ومبادرة دائمة وجماعة إصلاحية في أفغانستان. فاتفقوا وأسسوا تنظيمًا يسمى جمعية "طلبة أهل السنة"، وعقدوا اجتماعات أسبوعية، وعينوا قادة ونوابًا لكل ولاية. وبمرور الوقت



اكتسب التنظيم أتباعًا كما تبعه أشخاص في صمت داخل أفغانستان. وكل الأعضاء أو غالبيتهم بشكل أدق كانوا لاجئين في باكستان. وفي وقت لاحق ظهر عدد قليل من كوادر طالبان ممن تعود جذورهم إلى هذه المجموعة مثل مولوي عبد الحكيم شرعي رئيس جمعية طلبة أهل السنة في خوست، والذي أصبح فيما بعد قائدا لشرطة خوست، ونفذ إجراءات أمنية جيدة مقارنة بنظرائه. وقد حل تنظيمه وضمه إلى حركة طالبان عندما وصلت إلى خوست. كما تولى حكم ولاية خوست لبعض الوقت خلال عهد طالبان.

وبفضل جهود بعض العلماء المسلمين توحد تنظيم مولوي محمد نبي محمدي وتنظيم مولوي نصر الله منصور في النهاية. واختير محمدي كقائد ومنصور كنائب له. كما اندمج تنظيم الطلبة وجمعية الطلبة معا.

التركيبة العسكرية لطلبة العلوم الدينية (طالبان) من غزنة إلى زابل

قبل سنوات قليلة من ظهور حركة طالبان في بكتيكا وغزنة وزابول، بدأ طلاب العلوم الدينية حراكا من أجل تحقيق السلام والعدالة والأمن. فعُقدت اجتماعات كبيرة في البداية، وطلبوا فيما بعد دعم قادة المناطق التي تواجدوا فيها. وعندما أخلت حكومة الدكتور نجيب الله عددًا قليلاً من المقاطعات لتسيطر فقط على مراكز الولايات اندلع صراع بين القادة في غزني وباكتيكا وزابل. وعندما أصبحت حكومة نجيب على وشك الانهيار كانت بعض مراكز الولايات أيضًا على وشك السقوط.

اندلعت حرب ضروس بين الجماعات المختلفة، وبادر طلاب العلوم الدينية (طالبان) من سكان هذه المناطق ببذل جهود من أجل إحلال السلام والأمن خلال تلك الفترة، وطلبوا من بعض القادة دعمًا عسكريًا حتى يتمكنوا من التدخل عند الحاجة للسيطرة على الوضع.

هناك سببان رئيسيان لعدم تأسيس حركة طالبان في تلك المناطق بخلاف ما حدث في قندهار. أولاً، لم تكن هناك درجة من الوحشية تدفع لتأسيس الحركة على الفور. ثانيًا، لم تكن هناك مجموعات معزولة من طالبان في المنطقة، فمثلا جماعة الملا كليم في زابل (التي ترأسها لاحقًا الملا مداد) كانت أيضًا جماعة من طلبة العلوم الدينية مما عزز المجموعة حتى النهاية. وبسبب هذا تعامل قادة تلك المناطق مع طلبة العلوم الدينية بشكل هادئ وتجنبوا الصراع معهم.

أظهر طلبة العلوم الدينية أنفسهم كمجموعة واحدة وقاموا بعقد جلسات وعظ، ولعب هذا الهيكل الموحد فيما بعد دورًا رئيسيًا داعما لحركة طالبان في الاستيلاء على غزنة وزابل وباكتيكا. فعندما انتفضت حركة طالبان في قندهار بدأ طلاب العلوم الدينية أنشطتهم على الفور في غزنة وزابل على طريق كابول السريع، وتطور تواصلهم مع قندهار. فعلى الطريق السريع بين كابول وقندهار وبالتحديد من غزنة إلى قندهار كان الهيكل السياسي والعسكري لطلبة العلوم الدينية (طالبان) أقدم بثلاث إلى أربع سنوات من هيكل الحركة في قندهار.

كان الملا إسحق أخوند زاده (الذي أصبح فيما بعد حاكم خوست ثم لغمان في عهد طالبان) زعيمًا للمجموعة، وكان لديه العشرات من طلبة العلوم الدينية في منطقة كاراباخ بغزنة، وكان الملا عبد الباري نائبه. بينما كان زعيم الطلبة في أوباند هو



عبد المنان، وكان الملا عبد الوالي زعيم الطلبة في مقاطعة مقور، في حين تزعم الملا عبد الغفور مجموعات الطلبة في جيلان. وكان زعيم الطلبة في منطقتي زابل وشجوي الملا عبد الغني بينما كان نائبيه الملا عبد الجبار والملا نور الله نوري. وفي أثناء حكم حركة طالبان أصبح الملا نور الله نوري حاكم ولاية بلخ ورئيس المنطقة الشمالية، وبعد الغزو الأمريكي سُجن في غوانتانامو لمدة 13 عامًا. أما الملا عبد الوهاب فكان زعيم الطلبة في منطقة القلعة وسط زابل، وكان نائبه الملا أسد الله والملا محمد نظير.

عندما وصلت طالبان في البداية إلى زابل أقام قادة طلبة العلوم الدينية في منطقتي قلعة وشاهجوي نقاط تفتيش ومراكز في المنطقة لأنهم لم يرغبوا في أن تتجاوز طالبان قندهار حكمهم في زابل حيث أرادوا أن يحكموها بأنفسهم. وكان المطلب الآخر ألا يجمع أحد الأسلحة في زابل. وتسببت هذه النقاط في خلاف قبل شهر من معركة غزنة.

في ديسمبر 1994 أصبح قاري أحمد الله قائد شرطة منطقة قلعة وأحد سكان منطقة خوجياني في غزنة، وقد ظل وزيرًا للداخلية ورئيسًا للاستخبارات في عهد طالبان. عشت معه سابقا في بلوشستان لمدة عامين، وبسبب هذا الارتباط عشت معه في قلعة لدعمه. وقد أخبرني أن طالبان المحلية لا تريد الانضمام للحركة الرئيسية وتطرح خيارات ومطالب خاصة بها. وقد زار أحد العلماء المسلمين من زابل ويُدعى الملا عبد السلام سالمي، وعالم مسلم من قندهار لا أتذكر اسمه، والملا نور الدين ترابي الذي أصبح وزير العدل في عهد نظام طالبان وكان حينها مسؤولاً عن السيطرة على المنطقة التي دخلتها الحركة حديثًا، زعيم طالبان المحلي الملا عبد الوهاب لإقناعه بالانضمام للحركة الأم، وقد رافقتهم أيضا. وكان الملا عبد الوهاب يقدم أعذارًا مختلفة أثناء



المناقشة وينتقد حركة طالبان أيضًا. لم يكن يتفق معنا بأي شكل من الأشكال. وبعد فترة اختفى الملا عبد الوهاب ولم ينضم للحركة حتى النهاية، لكن نوابه انضموا إلى طالبان.

في ديسمبر من ذلك العام زار وفد آخر من قندهار بقيادة الملا إحسان الله إحسان زابل. ودعوا إلى لقاء في المسجد الكبير بمنطقة قلعة. وحضر اللقاء عزيز خان شقيق الملا مداد والملا عبد السلام روكتي (قائد الفيلق العسكري في ننجرهار في عهد طالبان). وفي خطاب مقنع وفعال، شرح الملا إحسان الله أسباب انطلاق حركة طالبان وأهدافها واستراتيجيتها المستقبلية. وأعلن عزيز خان والملا عبد السلام روكتي خلال الاجتماع دعمهما الكامل للحركة. وقد قال الملا روكتي: لو كان الطالبان باكستانيون لكنت أوقفتهم في منطقة "شير صفا". (لأن الملا روكتي أعلن عداوته لباكستان بعد اختطافه ضابطاً باكستانياً) وأضاف: أعرف من هم قادة طالبان، وماذا يريدون. وبعد أيام قليلة زار الملا نور الله نوري والملا جبار برفقة مقاتلين مسلحين منطقة قلعة للقاء قادة الطلبة. وأجروا مناقشات مهذبة أدت إلى حدوث اتفاق. وفي وقت لاحق شارك الملا نور الله نوري وأصدقاؤه في العمل العسكري، وحُلت الخلافات معهم.

الحاجة لتأسيس حركة طالبان

عندما غادرت القوات السوفيتية أفغانستان في فبراير 1989، كان النظام الشيوعي بقيادة نجيب الله يتجه نحو السقوط يومًا بعد يوم. فبدأ نجيب بعرض مفاوضات للسلام. وبعد فترة وجيزة بدأت الحكومة في إخلاء مراكز المقاطعات والتمركز في عواصم الولايات. وقد سقطت العديد من مراكز الولايات في أيدي المجاهدين بعد

فترة. وكان هناك تنافس وصراع مستمر بين مجموعات المجاهدين المختلفة في السيطرة على المناطق الجديدة. كان لبعض الجماعات موقف حذر للغاية بينما كانت الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامي ضد بعضهما البعض منذ وجودهما في بيشاور.

وقد واجهت الحكومة الائتلافية التي اتخذت من بيشاور مقراً لها معارضة مستمرة من حكمتيار. ففي تلك الحكومة أصبح صبغة الله مجددي رئيساً للحكومة، ومولوي محمد نبي محمدي وزيراً للدفاع، ومولوي يونس خالص وزيراً للداخلية، وحكمتيار وزيراً للخارجية، لكن بعد فترة أعلن حكمتيار مغادرته الحكومة، ووصفها بأنها حكومة مستأجرة.

عندما أدركت الحكومة الباكستانية والشركاء الدوليون أنه باستثناء رباني وحكمتيار، لم تكن الجماعات الأخرى مهتمة بالصراع من أجل الهيمنة على الحكم، بدأوا في محاولة إقناع الاثنين. ونتيجة لذلك ففي عام 1992 بعد سقوط حكومة نجيب، اختير حكمتيار رئيسا للوزراء، ومسعود وزيرا للدفاع، وصبغة الله مجددي رئيسا لمدة شهرين. وبعد مضي الشهرين جرى تعيين رباني رئيسا لمدة أربعة أشهر. وعندما سقطت حكومة نجيب على وقع معارضة أنصار ميليشيا دوستم لنجيب كانت تلك المليشيا لا تزال تسيطر على مدينة كابول، ودخل أحمد شاه مسعود كابول كمؤيد لهم.

بينما سيطر أحمد شاه مسعود وميليشيا دوستم على كابول، لم يُسمح للمسلحين الآخرين بدخول المدينة. وحاولت قوات الحزب الإسلامي أيضًا دخول كابول، ووصلت في البداية إلى وزارة الداخلية، وصعدت إلى باب منزل الرئيس، لكنها دُفعت إلى حدود المدينة بعد معركة شرسة شنتها القوات المشتركة لمسعود وميليشيا دوستم ومسلحي النظام الشيوعي القديم. كما اندلعت حرب شرسة بين قوات الحزب

الإسلامي والجمعية الإسلامية على مدى ثلاث سنوات دُمرت خلالها مدينة كابول بالكامل، واستشهد أكثر من 50000 من أبناء كابول الأبرياء في ذلك الصراع. وكان من بين الشهداء أطفال ونساء وشيوخ. وفي البداية دخل مجددي مدينة كابول، وبعد أيام قليلة ذهب إلى مدينة مزار كقائد لوفد حكومي. وهناك أعلن عن منح لقب "الجنرال العظيم" وأطلق وصفا مقدسا على عبد الرشيد دوستم حيث شبهه بخالد بن الوليد القائد المشهور وصاحب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) مما أزعج العديد من الأفغان.

بعد شهرين حاول مجددي البقاء في منصبه، لكن منذ اليوم الأول لم يقبله أحمد شاه مسعود كرئيس للبلد، ولم ينصاع لأي من أوامره حتى أنه استخدم المصطلح الدرامي مزدوج المعنى "الحكومة بالنيابة" خلال حديثه عن رئيسها في البث الرسمي بالتلفزيون والإذاعة والصحف. عندما انتهى الشهران، تخلص مسعود من مجددي بسهولة، وأصبح رباني زعيمًا في حفل رسمي. وبعد انتهاء الشهور الأربعة المقررة لشغل رباني للمنصب ظل رباني في مكانه معتمدا على قوات مسعود العسكرية. هذا السلوك خيب آمال القادة والأحزاب والجماعات الأخرى، وأضعف التحالف الضعيف بالفعل. نأى أصحاب العقول الصادقة من قادة وشيوخ الحزب الإسلامي بأنفسهم عن الظروف السائدة. فقط القادة الذين اتسموا بالتبعية العمياء لحكمتيار انخرطوا في القتال. بل حتى من سبقت لهم المشاركة في أعمال سيئة تم الترحيب بهم وقُدم لهم كافة أنواع الدعم. وتحولت مدينة كابول إلى ساحة معركة وحشية بين مسعود ودوستم وحكمتيار وسياف وميليشيا حزب الوحدة الشيعي.

وبعد جرائم الحرب التي ارتكبها الشيوعيون، ربما يكون من الصعب العثور على أمثلة مماثلة للوحشية في تاريخ أفغانستان باستثناء ما حدث في الحرب بين الأحزاب الجهادية، فقد قامت ميليشيات سياف بارتكاب مجازر في المناطق الخاضعة لسيطرة ميليشيا حزب الوحدة، وذلك عبر إهانة نساء الهزارة وقتل الناس ونهب منازلهم. وبالمقابل تحت قيادة مزاري قائد حزب الوحدة الشيعي انتقم رجاله من سياف بالقبض على البشتون وقطع أعناقهم وهم أحياء ثم صب الزيت الساخن عليهم. وخلال تلك العملية احتفل أعضاء حزب الوحدة على وقع حركة جثة الشخص المذبوح قبل أن تسلم الروح، وأطلقوا على ذلك المشهد اسم "رقصة الموتى". كان هذا الأسلوب من اختراعهم، وربما يكون من الصعب العثور على مثال لمثل هذه الوحشية في العالم.

كانت جماعة سياف تخضع لقيادة سياف نفسه وابن أخيه ممتاز والقائد شير علم وعدد قليل من المسلحين من أصحاب السمعة السيئة في حين قاد حزب الوحدة عبد العلي مزاري وآخرين من شيوخ وقادة الهزارة الذين دعموا هذه الأنشطة. ويشغل معظمهم مناصب رسمية في الحكومة الحالية (حكومة أشرف غني). فإذا كانت عاصمة البلاد خلال حكم رباني قُسمت على هذا النحو بين قادة متوحشين، فكيف كان الوضع في المناطق النائية؟!

هناك قصة طويلة من الوحشية والاعتداء على حياة الناس وأعراضهم وممتلكاتهم في مدينة كابول، قصة لن يكفيها حتى كتاب من آلاف الصفحات. وقد نشر الكُتّاب الذين يكتبون عن شئون المنطقة والمنظمات الدولية المعنية حقوق الإنسان أدلة كثيرة حول هذا الموضوع. وللأسف لم يعاقب أحد هؤلاء المجرمين. وبدلاً من ذلك،

كافأت الجهات التي تزعم دعم حقوق الإنسان هؤلاء المجرمين عبر توليتهم للمناصب وتزويدهم بالأموال مقابل خدمة أهدافهم الاستعمارية.

منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 عندما غزت الولايات المتحدة أفغانستان، تحكم نفس المليشيات ومنتهكي حقوق الإنسان البلاد بسبب دعمهم للغزاة الأمريكيين. وبسبب هؤلاء المجرمين لا يمكن للهيئة المستقلة لحقوق الإنسان نشر تقرير يسجل مثل تلك الحوادث التي تتضمن انتهاكات لحقوق الإنسان في الحرب الأهلية خلال العقدين الماضيين.

أمثلة قليلة من كابول

في وقت مبكر نهبت ميليشيا جيلجام بقيادة عبد الرشيد دوستم مدينة كابول، وأخذت بالقوة النساء والأطفال دون السن القانونية إلى أماكن إقامتهم وتجمعاتهم التي تضم موسيقى وخمور، حيث اغتصبوهم وألحقوا العار بهم، وفي حال رفضهم ذلك تعرضوا للقتل. وقد عاصر العديد من سكان كابول تلك القصص. كما شارك قادة مجموعة شورى نزار التابعة لأحمد شاه مسعود في أنشطة مماثلة. فكان قتل الناس أمرًا روتينيًا بالنسبة لهم - حيث يُقتل كل من يرفض مطالبهم. كما انخرط أعضاء حزب الوحدة في نزاع مسلح مع مقاتلي سياف حول ملكية الأراضي. وألقى مقاتلو حزب الوحدة القبض على أفراد من عرقية البشتون وسمّروا رؤوسهم أحياء. كما تعرضت نساء البشتون للعار وقطع أثدائهن بينما كن على قيد الحياة. وكانت تلك الحوادث متكررة. وهناك العديد من الأشخاص والشهود الذين شاهدوا هذه الأحداث وما زالوا موجودين على قيد الحياة. وقد اعترف بعض أعضاء حزب الوحدة عندما ألقت طالبان لاحقا القبض عليهم بقيامهم بأنشطة من هذا القبيل.



ومن أمثلة تلك الحوادث أنه عند نقطة تفتيش بالقرب من بول تشارخي اختطف مسلحون امرأة حامل، وقيل لزوجها أننا رأينا نساء في كل حالة باستثناء حالة الولادة، ونريد أن نشاهد هذا أيضًا. وكان معظم مقاتلي سياف مدمنون على المخدرات، وقد اغتصبوا نساء الهزارة وقتلوا أطفالهن وكبار السن منهم، ونهبوا ثرواتهم. ودعم قادة الأحزاب القادة الميدانيين المتوحشين والقاسين الذين يتمكنوا من قتل الناس لخدمة أهدافهم، ومنحوهم أنواعا شتى من الامتيازات.

كانت نقطة تفتيش بين كابول ونجرهار بالقرب من ساروبي تحت سيطرة "زرداد فريادي" القائد التابع لحكمتيار، وكان أحد مقاتليه يرتدي زي كلب ويمتلك أسنانا حادة، ويتم تسليطه على الأشخاص الذين يرفضون دفع نقود عند الحاجز، وذلك لإجبارهم على دفع الأموال المطلوبة.

وتوجد قصة مشهورة بين سكان كابول مفادها أن قائدًا في مجلس شورى نزار التابع لمسعود القائد العسكري لرباني، أخذ زوجة أحد الأشخاص بالقوة، وتمكن الزوج من نقل شكواه المكتوبة إلى رباني الذي كتب على ظهر الشكوى: "أيها القائد المحترم، أرجوك أعد له زوجته".

البرابرة في قندهار

قُسمت مدينة قندهار بين عشرات القادة. وكانت السيطرة في الغالب من قبل مجموعة الملا نقيب، لكنه لم يكن قويا في حد ذاته. فقد كان يفرض سلطته بواسطة القائد خان محمد المعروف باسم خانو، والذي كان يقود رجالاً متوحشين، ويخافه الملا النقيب نفسه.

كان غول آغا شيرزاي هو حاكم المدينة، وقد حصل على دعم مالي من رباني باسم قندهار. ولم تكن لديه قوة، ولذلك ركز فقط على أن يصبح ثريًا. وكان لديه عدد قليل من الأفراد العسكريين ومعظمهم من مدمني المخدرات والأشخاص السيئين وعديمي النفع.

كانت الفيالق العسكرية تحت سيطرة خانو الذي تمتع بقوة عسكرية وامتلك أسلحة ودبابات مدرعة. وقد اهتم رباني به لأن هذه المجموعة انتسبت للجمعية الإسلامية في قندهار. وسيطر على المطار الحاج أحمد طار نجل القائد البارز "حاج مغاش". بينما سيطر على منطقة (قشلة الجديدة) العسكرية والمناطق الغربية المحيطة بها عناصر متوحشة تابعة لأمير لالاي. في حين سيطر القائد التابع لسياف الأستاذ عبد العليم على منطقة ساروبزاي غربي قندهار. وكان يعمل سائقا قبل الجهاد ولذلك اشتهر باسم "الأسطة". كان رجاله أيضًا قساة تمامًا مثل رجال القادة الآخرين. كان البعض أقل سوءا في حين كان آخرين أسوأ. وسيطر على مدينة قندهار القديمة قائد الحزب الإسلامي عطا محمد سر كاتب.

بدأ الجهاد ضد السوفييت في قندهار من قبل أشخاص شديدي التدين كما كان العديد من الأشخاص الذين انخرطوا لاحقًا في الجهاد أيضًا إسلاميين من أهل التقوى والصلاح. مع مرور الوقت استشهد عدد قليل من المجاهدين المعروفين والنشطين مثل لالا مالانج، وحادت الغالبية عن الطريق مع ازدياد رغبة المجاهدين في كسب الثروة والسلطة، وكانت هذه المشكلة سائدة في جميع أنحاء أفغانستان. اتُبعت خطوات غير مشروعة لتحقيق هذا الغرض، ووجد اللصوص والقتلة المرتزقة مكانا لهم في تلك

المجموعات. وقد أصبح هؤلاء اللصوص والقتلة المرتزقة أقوياء لدرجة أن قادتهم لم يتمكنوا من السيطرة عليهم.

في قندهار كان هناك العديد من أعضاء الجمعية الإسلامية التابعة لبرهان الدين رباني ممن انتموا سابقا إلى حزب "خلق" الشيوعي وانخرطوا في الميليشيات الشيوعية، وقد رحب بهم بعض القادة لعوامل قبلية أو بهدف توظيفهم في سحق خصومهم. فيما بعد أصبح نفس الأشخاص أقوياء، وأقاموا نقاط تفتيش على الطرق. هؤلاء الناس لم يهتموا أبدًا بشرف وحياة أي شخص إذ كانوا ينفذون جرائمهم الوحشية والقاسية منذ أيام النظام الشيوعي.

فعلى سبيل المثال اختطف "منصور" و"بارو"[4] اللذان أقاما نقطة تفتيش على الطريق السريع "قندهار - بولداك"[5] الفتيات والفتيان من المركبات بهدف إشباع رغباتهما الجنسية. وقد هاجمت طالبان نقطة التفتيش تلك قبل أيام قليلة من سيطرتها على قندهار، وقتلت الرجلين وشنقتهما فوق دباباتهما كما قُتل معظم مقاتليهم في الحرب، ولم يُبق على قيد الحياة إلا عبد الرازق لصغر سنه آنذاك[6]. لقد أخاف هجوم طالبان على نقطة التفتيش المذكورة المسلحين الآخرين في قندهار، وأصبح من السهل على طالبان الاستيلاء على ولاية قندهار.

سبق أن اندلعت حرب بين مجموعات مختلفة من المسلحين في قندهار أُضرمت خلالها النيران في منازل المواطنين. وكان الناس يحرسون نسائهم ومنازلهم عبر تسيير دوريات في الليل بينما قبع معظم المجاهدين الحقيقيين في منازلهم، وتركوا هؤلاء القادة

4- قاتل بارو خلال الجهاد ضد الروس ضمن جماعة الاتحاد الإسلامي بقيادة سياف، واشتهر باقتنائه للغلمان وزواجه القسري للفتيات لمدة شهر واحد، وأعدمته طالبان في عام 1994.

5- تقع سبين بولداك على الحدود مع باكستان، وتمثل الطريق الرئيسي للمسافرين برا إلى باكستان من أفغانستان.

6- أصبح عبد الرازق لاحقا قائد شرطة قندهار في عهد الاحتلال الأمريكي، وُقتل على يد طالبان في عام 2018.



الفاسدين يمرحون في ساحة المعركة رفقة العناصر الشيوعية القديمة التي انضمت لهم على خلفية الروابط القبلية، وقد قاتلوا بعضهم البعض للاستيلاء على الأراضي.

وقد روى لي بعض شهود العيان من قندهار قصصًا مثل كيف كانت هناك دبابة على جانب من نقطة تفتيش أطلقت لمدة شهر القذائف على المنافسين، وفي نهاية الشهر بسبب إطلاق النار الكثيف فقد مشغل الدبابة عقله، ونُقل إلى باكستان لتلقي العلاج.

إن شعب قندهار له تاريخ مدهش في الجهاد ضد الشيوعية، فقد كان مجاهدو قندهار من الناحية القتالية مقاتلين أقوياء للغاية، وسبق أن دخلوا مدينة قندهار ليلاً وقاتلوا القوات الحكومية، وعندما غادروا المدينة في الصباح كانت الحكومة قد مُنيت بخسائر فادحة، ولم يكن من الممكن للمجاهدين دخول مدينة قندهار دون وجود دعم من أهلها.

لم يتمكن الشيوعيون من مغادرة نقاط التفتيش الأمنية الخاصة بهم علانية وسط قندهار لأن نصف سكان المدينة كانوا يقاتلون ضدهم. كما رفع أهل قندهار ذات مرة شعارات التكبير ضد الحكومة من فوق أسطح منازلهم، وتزايد التكبير إلى حد أربك الحكومة مما دفعها لإطلاق النار على الناس دون أن تتمكن من إسكاتهم. وفي وقت لاحق اعتذرت الحكومة وانعقد لبحث الأمر مجلس لويا جيركا7. ولسوء الحظ استشهد بعض المجاهدين الشجعان والصالحين، وفضل البعض الآخر البقاء في منازلهم بعد سقوط حكومة نجيب عام 1992.

7- اللويا جيركا اجتماع يحضره الوجهاء وكبار القبائل لتداول الرأي وبحث المشاكل وكيفية حلها.



ذكريات المواطنين

سمعت هذه القصة من المولوي عبد العلي الديوبندي، وهو شخص ورع كان مفتيًا بارزًا وعالمًا إسلاميًا خلال فترة حكم طالبان (وتوفي خلال حقبة الاحتلال الأمريكي) إذ قال: أخذ قائد امرأة شخص قندهاري إلى غرفته ليغتصبها، وكان الزوج من البشتون لكنه لما عجز عن حماية زوجته بدأ بالصراخ والبكاء بصوت عالٍ قائلا بالله عليك إنها شرفي، فأرسل القائد بعض المسلحين الذين ألقوه أرضا على وجهه، ولفوا قضيبه بقوة حتى انفصل عن جسده فمات الشخص على الفور. كذلك أخبرني مسؤول في إذاعة قندهار عن رواية شاهد عيان لطفل في منطقة "شهر ناو" بقندهار إذ طلب منه شخص مسلح عند أحد الحواجز القدوم إليه، وأدرك الطفل أن نية الرجل هي الاعتداء الجنسي عليه فحاول الهرب، فأطلق المسلح النار على الطفل من بندقية كلاشينكوف وقتله.

وأيضا كان شاب مهاجر من الملالي يصحب جثة والده المتوفى إلى منطقة شاهجوي لأداء صلاة الجنازة عليها لكن على طريق قندهار - زابول[8] بالقرب من مقاطعة شهر صفا، كانت توجد نقطة تفتيش للقائد بالحزب الإسلامي "جارانو". وعند المرور بنقطة التفتيش المذكورة قال الملا الشاب إن عائلته المجاهدة ترتبط بالحزب الإسلامي حيث رغب في تجنب المشاكل مع هؤلاء المسلحين، وعرّف نفسه على أنه من عناصر الحزب لكنهم ضحكوا بغضب وقالوا إننا نعرف المال فقط. فقال إنه بسبب وفاة والده المفاجئة لم يكن لديه سوى ما يكفي من المال للسفر أما الباقي فقد استولى عليه مسلحو حاجز سابق، فأخذه المسلحون إلى مكتب حاكم المقاطعة مع جثة والده وسألوه: هل هذه جثة والدك؟ فقال نعم، فقالوا له أنه إذا لم تستطع دفع المال

[8] - تأسست ولاية زابول إداريا في عام 1964، وكانت تتبع سابقا ولاية قندهار.

فسيتعين عليك الرقص بالقرب من جثمان والدك، فبدأ في تقديم الأعذار وناشدهم أن يتركوه في ظل وفاة والده، وقال لهم أنا من طلبة العلوم الدينية ولا أعرف كيف أرقص، فرفعوا الكلاشينكوف في وجهه، وأدرك أنهم لن يرحموه إلا إذا رقص لهم، فأخذ يرقص حتى اقترب من الانهيار ثم سمحوا له بأخذ جثة والده. وفي ظل ذلك العار لم يخبر أهله بهذه القصة، وشكر الله أنه لم تكن معه امرأة في ذلك الوقت.

تتواتر العديد من القصص الشهيرة عن وحشية مقاتلي المليشيات القندهارية، لكني أعتبر القصص التي ذكرتها كافية لتقديم نظرة عامة. وقد أثرت هذه الظروف على المجاهدين الصالحين الذين ضحوا بأنفسهم لتحرير قندهار من الشيوعيين. فخلال المعارك التي اندلعت بعد انهيار الحكومة الشيوعية بقي هؤلاء المجاهدين في منازلهم واستولى على مواقعهم الشيوعيون السابقون ومصطنعي الفتن والمجاهدين ممن ضلوا الطريق، فحاصروا جميعا شعب قندهار الشجاع، وعندئذ تقدم الملا محمد عمر لقيادة الثورة ضدهم. كانت الأمة تريد فقط من يستنهضها، ولذلك كان التأييد الشعبي للملا عمر الذي لم يكن يملك شيئا من الدنيا يجذب الناس له.

من هو الملا محمد عمر مجاهد؟

ولد الملا محمد عمر عام 1960 في قرية شاه همت التابعة لمنطقة خاكريز بقندهار، وهو ينتمي إلى عائلة متدينة، واسم والده هو مولوي غلام نبي. وجد الملا عمر هو المولوي محمد رسول بينما جده الأكبر مولوي باز محمد. وُلد مولوي غلام نبي والد الملا عمر في خاكريز، وتلقى بها تعليمه الديني في مدارس مختلفة. وفيما بعد بسبب انخراطه في التعليم الديني والدعوة أصبح معروفاً كشخصية اجتماعية ودينية مشهورة.



ينتمي الملا عمر إلى فرع تومزي من قبيلة هوتاكي البشتونية، وهي قبيلة بشتونية مشهورة لها تاريخ فهي ثاني قبيلة تتشرف بقيادة البشتون بعد الغوريين. ومن بين القادة الهوتكيين في التاريخ الأفغاني المعاصر حاج مرويس خان[9]. وكان أفراد عائلة الملا محمد عمر علماء إسلاميين متميزين ومدرسين للعلوم الدينية مما جعلهم شخصيات مرموقة في منطقتهم.

عندما كان الملا عمر في الثانية من عمره هاجرت عائلته إلى قرية نود في مقاطعة داند بقندهار حيث شاركوا في تقديم التعليم الديني. وقد تُوفي والد الملا عمر في نفس المنطقة عام 1965، ودُفن في مقبرة قديمة مرتبطة بطلبة العلوم الدينية "طالبان". وبعد وفاة والده، هاجر الملا عمر في الخامسة من عمره رفقة عائلته إلى منطقة ديهراوود في ولاية أوروزغان. وهذا هو المكان الذي أمضى فيه سنواته الأولى تحت وصاية أعمامه مولوي محمد أنور ومولوي محمد جمعة. وعندما أصبح عمره ثمان سنوات التحق الملا عمر بالمدرسة الدينية التابعة لعمه مولوي محمد جمعة في منطقة شهر كوهنا في ديهراوود، وأكمل تعليمه الديني الابتدائي والثانوي بشكل جيد. وبدأ دراساته الدينية العليا في عمر الثامنة عشرة لكنه لم يتمكن من إنهاء تعليمه مثل العديد من الطلاب المسلمين الآخرين بسبب الانقلاب الشيوعي عام 1979.

المشاركة في الجهاد ضد الاتحاد السوفياتي

بدأ الملا عمر الجهاد ضد الغزاة السوفييت في ديهراوود بولاية أوروزغان. وقد اشتهر كمقاتل شجاع على مستوى الولاية، واختير كقائد للعمليات العسكرية المشتركة لتحالف بين عدة مجموعات جهادية متنوعة. وشارك بأوروزغان في معارك مختلفة كقائد أو

9 - مرويس خان هو أبرز رموز سلالة الهوتاكي، وقد قضت قبيلة دوراني لاحقا على نفوذ قبيلته.



مجاهد، كما عُرف بأنه مقاتل صلب في الولاية بأكملها حيث يقول بعض أصدقائه إنه منذ كان في سن مبكرة تميز ببعض الخصائص الفريدة وامتلك مهارات قيادية، ولهذا اختير كقائد كما تمتع بجسد صلب.

في عام 1983 ذهب إلى مقاطعة مايواند في قندهار مع أصدقائه المجاهدين، وشارك في الجهاد ضد الاتحاد السوفيتي تحت قيادة فيض الله أخوند زاده القائد الجهادي الشهير لحركة الانقلاب الإسلامي التابعة للمولوي محمد نبي محمدي. خلال الجهاد برز بعض طلبة العلوم الدينية في قندهار بسبب شجاعتهم ومهاراتهم التكتيكية، لكن الملا نك محمد[10] والملا محمد عمر مجاهد والملا محمد أخوند كانوا معروفين جدًا. فوفقًا لرواية أشخاص من قندهار، اشتبك الملا نك محمد بمفرده مع قافلة من الدبابات والمدرعات الروسية لساعات، ودمر عشرات الدبابات بقذائف الأر بي جي. ويُقال إنه حمل ثلاثة أنواع من الأسلحة لمحاربة الدبابات ومقاتلي العدو. وقد شارك الملا عمر والملا نك محمد في العديد من المعارك، وأصيب الملا عمر أربع مرات خلال الحرب ضد الاتحاد السوفيتي، وفقد عينه اليمنى.

بعض الذكريات الجهادية للملا محمد عمر

سجل أشخاص مقربون من الملا عمر هذه الذكريات:

1- كانت هناك نقطة تفتيش حكومية قوية تُسمى "بوستة بداونوا"، وقد وضع الشيوعيون دبابة في موقع حساس للغاية بالقرب منها، وواجه المجاهدون مشاكل بسبب الهجمات من هذه النقطة. وقد حاول العديد من المجاهدين القضاء على تلك الدبابة لكن لم ينجح أحد. وفي النهاية دعا المجاهدون المحليون الملا محمد عمر من مايواند،

[10] - صديق من قندهار للملا عمر اشتهر بمهارته القتالية في الجهاد ضد الروس، وتوفي في ثمانينات القرن العشرين.



ونجح في تدمير هذه الدبابة بقذيفة آر بي جي كما قام زميله الملا عبيد الله أخوند بإحراق العديد من الدبابات والمركبات الروسية المدرعة في محلة جات بقندهار خلال الجهاد ضد السوفييت. وفي اليوم التالي عندما رأى الناس تلك الدبابات والمركبات المحترقة اعتقدوا أن القافلة لا تزال متوقفة هناك. وقد شغل الملا عبيد الله أخوند منصب وزير الدفاع أثناء حكم طالبان، وبعد الغزو الأمريكي جرى تعيينه نائبا للملا عمر ثم استشهد في أحد السجون الباكستانية عام 2010.

2-خلال مرور دبابات روسية عبر سانجيسار في منطقة زهاري على طريق "قندهار-هرات" السريع تواجد الملا عمر والملا عبد الغني برادر، ولم يكن لديهما سوى أربعة قذائف آر بي جي لمهاجمة القافلة الروسية، لكنهما نجحا في تدمير أربع دبابات. وخلال حكم طالبان عُين الملا برادر في هيئة الأركان العامة بوزارة الدفاع، ثم عُين حاكما لولاية هرات. وبعد الغزو الأمريكي عمل نائبا للملا عمر، وهو مسجون حاليا في باكستان (اعتقل الملا برادر عام 2010 وخرج من السجن الباكستاني عام 2018).

3- دمر الملا عمر سبع دبابات روسية بقذائف آر بي جي في منطقة تيموريان بمديرية داند خلال تقدم الدبابات الروسية لمهاجمة المجاهدين المتحصنين ببنادقهم في خنادق. وبحسب شهود عيان فقد أنقذ الملا عمر والملا عبيد الله المجاهدين وهزموا القوات الروسية المجهزة تجهيزا جيدا. وقد أصيب الملا عبيد الله في هذه المعركة.

من عام 1983 إلى 1991، انخرط الملا عمر في الجهاد ضد السوفييت انطلاقا من قواعد المجاهدين في مديريات مايواند وزهاري وبانجواي وداند في قندهار. ونفذ بنجاح عمليات ضد السوفييت على الطريق السريع الرئيسي بين كابول وقندهار بالقرب من



منطقة شهار صفا في زابول ومدينة قلعة. وكان سلاحه المفضل هو قاذف الأر بي جي السلاح الأكثر فعالية ضد الدبابات المدرعة إذ كان الملا عمر خبيرًا في استخدامه.

خلال السنوات الأخيرة من الجهاد ضد الشيوعيين، فقدت العديد من مجموعات طلبة العلوم الدينية "طالبان" السيطرة وتشظت، وقد غادر الملا عمر وأبرز رفاقه مجموعة فيض الله أخوند زاده. وبعد فترة وجيزة أجبره أصدقاؤه على تكوين مجموعة قوية من المجاهدين. فأسس قاعدة صغيرة في منطقة أداي في سانجيسار على طريق "قندهار - هرات". ونجح الملا عمر في تغطية النفقات من خلال الأموال التي قدمها أصدقاؤه المجاهدون وعدد قليل من المتبرعين إلى أن سجل هذه المجموعة الجهادية في حركة الانقلاب الإسلامي. لكن الحقيقة هي أنه خلال الجهاد ضد الشيوعيين لم يلتق الملا عمر بمولوي محمد نبي محمد، ولم يذهب إلى باكستان للحصول على الأسلحة. ونُقل خلال حياته مرة واحدة فقط إلى كويتا بباكستان لعلاجه من الإصابة في عينه، وعاد إلى قندهار بعد ذلك. وكانت هذه هي زيارته الأولى والأخيرة إلى باكستان. لكن قلة من أفراد عائلته يزعمون أنه زار باكستان أربع مرات خلال الحرب "الأفغانية - السوفيتية": مرة واحدة للعلاج، ومرة ثانية لتسجيل مجموعته ضمن المجموعات الجهادية، وزيارتين لرؤية أصدقائه المصابين، والله أعلم بمدى صحة ذلك.

نهاية الجهاد ضد الاتحاد السوفياتي

بعد سقوط حكومة نجيب عام 1992 وبدء الحرب الأهلية، ألقى الملا عمر والمجاهدون الصادقون الآخرون أسلحتهم، وأنشأوا مدرسة دينية بالقرب من مسجد حاج إبراهيم في قرية جشانو بمنطقة سانجيسار بمديرية داند. واستأنف الملا عمر في



هذه المدرسة تعليمه الديني الذي لم يكمله مع عدد قليل من أصدقائه المجاهدين. فدرس كتاب الحديث النبوي "مشكاة المصابيح" لكنه لم يتمكن من قراءة المزيد من كتب الحديث. كما أعطى دروس تلاوة وتجويد قرآن لأصدقائه حيث كان خبيرا في التجويد. وكان الملا عمر حينها مدرسًا وطالبًا ومؤسسًا ومديرا للمدرسة صغيرة.

يقول الملا جول آغا "عضو مجلس شورى حركة طالبان، ورئيس لجنة الشؤون الاقتصادية بطالبان"[11]، وهو مجاهد وصديق للملا عمر في مدرسته الدينية: كان هناك 32 طالبًا يعيشون مع الملا محمد عمر في مدرسة سانجيسار ، ومن بين هؤلاء الطلبة:(الملا عبد الغني برادر، ملا يارانا، الملا سيف الله، الملا سعد الدين "مقيم في باغران بهلمند"، الملا عبد الظاهر، الملا أختر محمد، ملا باري، الملا عبد الكريم، قاري عبد السلام، الملا غلام محي الدين، ملا عبد العلي، الملا عبد الباري، الملا عبد القيوم، الملا عبد الغفور، مولوي عبد الرحمن، عبد المنان "شقيق الملا عمر"، الملا عبد السلام، الملا غازي، الملا سردار محمد، الملا ظريف، الملا دارو خان من مايواند، جول الملا جمعة خان، الملا جنان، الملا سعد الله). أما المعلمون في المدرسة فكانوا: مولوي عبد الحبيب، مولوي عبد الرحيم، مولوي عبد الرحمن، مالانجانو مولوي صاحب[12].

عندما تصاعدت وحشية المسلحين، كان الناس يبحثون عن موقف طلبة العلم من هذه القسوة، وعن أسباب صمتهم تجاه هذه الوحشية التي انتشرت في كل من المدن والمناطق النائية. وفي تلك الآونة عومل المسافرون على الطرق السريعة الرئيسية التي تربط "هلمند – قندهار" و"قندهار – بولداك" معاملة سيئة للغاية. وتسببت تلك

[11] - أقاله الملا محمد عمر لاحقا من منصبه في عام 2009، وفُصل من طالبان لاحقا عقب انخراطه بشكل منفرد في محادثات سلام مع أمريكا والحكومة الأفغانية.
[12]- صاحب: لقب يدل على الاحترام، ويُستخدم مع كبار السن والمعلمين ومن يشغلون مناصب حكومية هامة.

السلوكيات الإجرامية على الطريق السريع بين هلمند وقندهار في العديد من المشاكل لأشخاص يعيشون بالقرب من مكان إقامة الملا عمر.

من مايواند حتى مدينة قندهار برز داوار خان، وصالح، ونادر جان كقادة متوحشين للغاية حيث عاملوا المسافرين معاملة سيئة للغاية وشكلوا تهديدًا كبيرًا على أعراضهم وممتلكاتهم. كما عُرف منصور وبارو كقادة قاسيين في مناطق إنزارجي وغزنة وتانجي وتخت إيبول على طريق بولداك- قندهار. فمنصور كان قائداً سابقاً لقائد الميليشيا الشهير عصمت مسلم، وحظي بدعم العديد من الشيوعيين السابقين وأبناء قبيلة أشكزاي بسبب الروابط القبلية.

بمبادرة من الملا عمر في يونيو 1994 عُقد اجتماع في مسجد المجاهد السابق الحاج غوث الدين شارك فيه علماء مسلمون من المناطق المجاورة ومديرو مدارس ومعلمون وأئمة. وكان من بين الحضور مولوي السيد محمد الذي ظل قاضياً لمجاهدي المنطقة، وكان معروفًا باسم مولوي باساناي، ومولوي عبد الحكيم (المعروف باسم الشيخ عبد الحكيم) الذي أصبح لاحقا عضوا في مجلس شورى حركة طالبان والمسؤول عن ملف القضاء، وخلال الاجتماع قرر المشاركون بدء حركة إصلاحية ضد إجرام المليشيات. وطُلب من مولوي سيد محمد قيادة هذه الحركة لكنه رفض، وانتهى الاجتماع دون نتيجة، وفي اليوم التالي زار الملا عمر رفقة صديقه الملا عبد الصمد[13] عدة مدارس مختلفة للحصول على دعم للمشروع المأمول.

لكن يقول الملا جول آغا إن الاجتماع الأول عُقد في مسجد حاجي غوث الدين، وأن مولوي باساناي لم يكن جزءًا من هذا الاجتماع الذي طالب الحاضرون فيه

[13]- تولى الملا عبدالصمد لاحقا في عهد طالبان منصب حاكم مقاطعة سبين بولداك ثم ترأس وزارة الكهرباء في قندهار ثم وزارة الزراعة في ولاية هلمند.

بمن فيهم الملالي وشيوخ العشائر ومدراء المدارس المحلية باتخاذ خطوات لوقف الممارسات الوحشية للمليشيات، لكنهم اقترحوا على الملا عمر الحصول على فتوى من قاضي المنطقة المفتي السيد محمد باساناي.

وبحسب الملا جول آغا فقد تقرر في الاجتماع أن يتشاور الملا محمد عمر مع مولوي باساناي بشأن صدور فتوى بالجهاد ضد هذا القهر والطغيان. كان مقر مولوي باساناي بالمحكمة الواقعة في قرية زانجيباد[14]. فأعطى الحاج "بشير"[15] الملا عمر وصديقه مولوي عبد الصمد سيارة وسائق توجهت بهما إلى المحكمة حيث انتظرا هناك حتى بعد الظهر ثم اجتمعا مع مولوي باساناي، وأطلعاه على تفاصيل الاجتماع في مسجد الحاج غوث الدين، فقال باساناي إنه سيدعو عددًا قليلاً من العلماء المسلمين للتشاور معهم ، وطلب منهما الاتصال به مرة أخرى في اليوم التالي، فذهبا إلى قائد المنطقة الملا جول أخوند، وأمضيا الليلة معه.

في اليوم التالي ذهبا إلى المحكمة حيث دعا مولوي باساناي ثلاثة علماء آخرين للتشاور معهم، وهم: مولوي عطا محمد أخوند زاده، ومولوي شاه محمد، ومولوي عبد الخالق. وبناء على إجماعهم، أبلغوا الملا عمر أن الجهاد واجب في الظروف الحالية، وأن هناك حاجة ماسة للتحرك ضد عناصر المليشيات وجرائمهم. لكنهم قالوا إنه لا يمكنهم إصدار فتوى مكتوبة لأن عناصر المليشيات سيفتكون بهم لو أصدروها في ظل عدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم كما قالوا للملا عمر إنك أيضا ليس لديك قوة عسكرية

---

[14] - هي ثاني أكبر قرية في مديرية بانجواي.

[15] - الحاج بشير هو زعيم قبلي من قبيلة نورزاي بقندهار، قاتل خلال الجهاد الأفغاني ضد الشيوعيين مع الاتحاد الإسلامي بقياد سياف، ثم انضم إلى مولوي يونس خالص كما دعم حكم طالبان، لكنه تعاون مع الإدارة الجديدة عقب الغزو الأمريكي، وسُجن في أمريكا عام 2009 عقب إدانته بالإتجار في المخدرات. ويُطلق عليه الإعلام الغربي اسم "بابلو اسكوبار" الأفغاني.



للتحرك ضد المليشيات، فقال لهم الملا عمر: سنبدأ جهادنا وإذا نجحنا فعليكم أن تدعمونا وتعطونا فتوى، وإذا فشلنا أو استشهدنا فلن يضايقكم أحد.

إلى جانب مولوي عبد الصمد انضممت إلى الملا عمر الذي أراد زيارة المدارس الدينية وإقناع طلبة العلوم الدينية بالجهاد، فذهبنا إلى بانجواي واجتمعنا مع الملا محمد أخوند (الذي أصبح فيما بعد قائدًا عسكريًا لطالبان)، ومعلم بديع "قائد المنطقة" وحاجي توراك آغا (حاكم خوست في عهد نظام طالبان، والذي ترأس فيما بعد الهلال الأحمر) حيث وعدنا بتقديم دعمه الكامل. وخلال التجوال قال سائق الحاج بشير نورزاي إنه متعب ولا يمكنه القيادة إلى قرية "غوشاك جارجا" فطلب الملا عمر الذهاب إلى غرفة الضيوف الخاصة بي ونقل تحياتنا إلى الملا برادر أخوند، وإخباره بأننا بدأنا عملنا. ومنذ ذلك الوقت بدا أن الملا عمر هو القائد والملا عبد الغني برادر نائبه.

ذهب الملا عمر ومولوي عبد الصمد إلى مجلس "سروار ماما" الذي أعطاهما دراجة نارية كما زارا مدارس مختلفة بما في ذلك مدرسة مشان[16] الواقعة في قرية قريبة من قرية الملا عمر، ومدرسة الحاج أختر محمد في قرية طالقان، ومدرسة الحاج قدير آكا حيث أعطى الشيخ مولوي عبد الحكيم دورات دينية قصيرة، ومدرسة الحاج حافظ مجيد في قندهار(قائد الشرطة في عهد نظام طالبان) في قرية زانجياباد حيث يعيش طلبة علوم دينية آخرون أيضًا.

في كل لقاء ألقى الملا عمر كلمة مكتوبة شرح فيها ضرورة الجهاد ووجوبه، وطالب الطلبة بالاستعداد للجهاد، وأصر على البدء به فورًا قائلا: لا ينبغي لأحد أن يكون له

16 - تقع قرية مشان في مديرية بانجواي بولاية قندهار.

عذر في الانشغال بالدراسات الدينية وعدم الانشغال بالمصابين والشهداء. وقال كذلك لا توجد لدي موارد مالية وعليكم جميعًا أن تدعموني على أساس الثقة بي. وقد وافقت قلة قليلة من طلبة العلوم الدينية على الانضمام إلى الملا عمر وفق هذه الشروط الصارمة.

وافق حوالي 54 طالبا من مدارس مختلفة، ودعاهم الملا عمر للحضور إلى مدرستنا في اليوم التالي لكن بعد تفاعلهم مع ما سمعوه جاءوا إلى مدرستنا في الساعة الواحدة صباحًا. وقد رآهم الملا عمر في صلاة الفجر. وبعد أن أم المصلين في الصلاة سألني كيف أنقل هؤلاء الطلبة خلال التحرك فقلت له يجب أن نطلب مساعدة الحاج بشير فأرسلنا الملا سيف الله أخوند إلى الحاج بشير على الدراجة النارية التي أعطاها لنا سروار. فاستجاب الحاج بشير وقدم لنا سيارة بيضاء رباعية الدفع[17] وشاحنة تويوتا طراز هينو. وكان عنده أيضًا المعلمان سناء الله ومحمد نبي. ولم يسترجع الحاج بشير تلك المركبات قط.

توجه طلبة العلوم الدينية "طالبان" إلى كشكيناخود عاصمة مديرية مايواند، ولم يكن مع الطلبة آنذاك سوى خمسة أسلحة عبارة عن ثلاثة بنادق كلاشينكوف ورشاشان ثقيلان. تركنا الأسلحة لحماية المدرسة، وذهبنا إلى مايواند بالسيوف والعصي كما قمنا ببناء غرفة في المدرسة، وأقمنا نقاط تفتيش أمنية بالسلاسل على كل جانب من جوانب السوق. وخلال التفتيش الأمني قص الطلبة شعر المقاتلين المتوحشين التابعين للمليشيات.

[17] - تويوتا داتسن بحسب عبدالسلام ضعيف في مذكراته حياتي في طالبان، الطبعة الثانية، ص154.



في اليوم الثاني قدم لنا الحاج بشير 20 سلاحا وثلاثة ملايين من النقد الأفغاني. كما قدم الزعيم القبلي بالمنطقة الحاج بورجيت آكا خمسة عشر سلاحًا بما في ذلك مدفع رشاش بعيد المدى. وفي اليوم الثالث، تجمع ثمانون مسلحون من الطلبة تحت قيادة الملا عمر من ضمنهم الملا برادر وأصدقاء آخرين أكبر سناً. كانت معي قاذفة صواريخ وثلاثة صواريخ. وتحركنا من مايواند إلى مسجد منطقة باشمول وزير الساعة 1 صباحًا. وقد استيقظ مولوي "خوش ديل" لأداء الصلاة في وقت متأخر من الليل، وقال إنه بما أننا كنا متعبين فسوف يؤدي هو مهام الحراسة حتى الصباح.

في الصباح أرسل الملا عمر مجموعة من الطلبة بقيادة الملا برادر إلى أحد جوانب الطريق السريع، بينما كانت مجموعة الملا الشهيد رحمة الله أخوند والقادة الملا عبد الواحد أخوند والملا مشار على مقربة في الجانب الآخر، ووقع تبادل لإطلاق النار لكن لم تقع إصابات. وفي المساء اتخذ الملا برادر موقعه على الطريق السريع ثم جاء مسلحون من المليشيات (توباكيان) يركبون سيارة أخذوها بالقوة من المواطنين، فجرى أسرهم من قبل طالبان. وخلال تفتيشهم ضُبطت بعض المشروبات الكحولية والرصاص في السيارة لكن هرب المسلحون في وقت لاحق.

في الليل جاء أصدقاء سر كاتب (القائد العام لقندهار آنذاك) واندلعت المعركة مرة أخرى في الصباح مع صياح المسلحين عند نقطة التفتيش بأنهم رجال سر كاتب[18]، وبعد تبادل لإطلاق النار أخليت أيضا ستة حواجز تابعة للقائد صالح. وأصيب الملا داد الله قائد الطلبة في ذلك اليوم، وكان أول رجل يُصاب من حركة طالبان.

[18]- عطا محمد سر كاتب: من قيادات الحزب الإسلامي أثناء الجهاد الأفغاني ضد الروس بقندهار، وقضت طالبان على نفوذه في عام 1994 حيث غادر إلى كويتا بباكستان.

كان للشيخ القبلي الشهير دارو خان من منطقة الصولغة ثلاث نقاط تفتيش غير قانونية، وطلب منا ممرًا آمنًا وفرناه له، فغادر رجاله الحواجز دون مقاومة. وفي ذلك الوقت جرى تقسيم طالبان إلى أوتاق مختلفة يتراوح عددها من أربعة إلى خمسة أوتاق[19]. وكان دعم المواطنين وسعادتهم ملموسين، وأخذ عدد عناصر طالبان يزداد كل يوم، وزادت أعداد ومعنويات طالبان أكثر بعد انضمام الملا محمد رباني أخوند (شغل منصب رئيس وزراء حكومة طالبان ونائب الملا عمر قبل وفاته بورم سرطاني) والملا محمد عيسى أخوند.

مفاوضات أولية مع ميليشيات (طوباكيان) وفقًا لملاح جول آغا

جاء معظم القادة والأشخاص الذين أقاموا حواجز غير شرعية في قندهار للتفاوض باستثناء الملا النقيب وخان محمد. فعلى سبيل المثال جاء سر كاتب من باغ بول، والأستاذ عبد الحكيم من زارا بولا، ونادر جان من نايجيهان، وأمير لالاي من مدينة قندهار، وحبيب الله جان من سنزاري، والعديد من القادة الصغار الآخرين اجتمعوا مع الملا عمر والملا بردار والملا محمد أخوند. وطالبوا من طلبة العلوم الدينية "طالبان" ألا يزعجوهم مقابل تقديمهم دعمهم الكامل للطلبة. وبالمقابل طلب الملا عمر منهم عدة طلبات في مقدمتها إزالة نقاط التفتيش غير القانونية التي دشنوها. فردوا عليه قائلين: إذا كان هدفك هو تطبيق الشريعة في المدينة، فسننشئ محاكم قوية ونوفر لك أفرادًا مسلحين وموارد أخرى. فقال الملا عمر: لا نريد صدقة من أحد، عليكم إزالة الحواجز غير الشرعية، وسنقيم نقاطا لطالبان هناك للسيطرة على الأمن وحماية الناس

[19] -الوتق كلمة تعني خيمة أو معسكر بالفارسية؟



وممتلكاتهم إذ لا نثق بكم حاليا. واتفقوا في النهاية على إزالة نقاط التفتيش وبناء الطلبة لنقاط حراسة بديلة.

في ذلك الوقت تمركز الوتق الرئيسي للطلبة في داند، وتحدث الملا عمر إلى الملا منصور الذي كانت لديه نقطة تفتيش أمنية في منطقة ترنكة (منطقة حدودية بين مدينة قندهار وبولداك) وطلب منه إزالة نقطة التفتيش وفق التعهدات المقدمة للملا عمر. وتوقع الملا عمر أن يزيل جميع قادة قندهار الحواجز من على نقاط التفتيش الأمنية مع ترجيحه أن يقاتل قادة منطقة بولداك رفضا لذلك. ونصح الملا عمر الملا منصور بألا يتورط في مشاكل مع الناس في أمور مثل حلق شعورهم وغيرها من القضايا البسيطة، وقال له إذا فعلت ذلك فلن يقف أحد في طريقك. وحدث ما توقعه الملا عمر بالفعل حيث قاتلت مليشيات بولداك المسلحة ضد طالبان، وانتهى القتال بشنق الملا منصور ومجرمين آخرين دون أن يسأل أحد عنهم أو يهتم بمصيرهم.

بداية حركة طالبان حسب رواية الملا عمر

انعقد اجتماع كبير لعلماء المسلمين البارزين في قندهار في 4 أبريل 1996. وفي نهاية هذا الاجتماع، حصل الملا عمر على لقب "أمير المؤمنين". كنت حاضرًا طوال مراحل الاجتماع بصفتي مضيفًا. وقد خاطب الملا عمر التجمع في اليوم الأخير بلهجة مبسطة ثم بعد يومين تحدث في نفس الموضوع مع بعض التغييرات الطفيفة خلال لقائه مع وفد من علماء المسلمين من بولداك. وهذا ملخص كلامه:

(وصلت أحوال مدينة قندهار والمناطق المحيطة بها إلى درجة أن شرف المسلمين وأرواحهم وممتلكاتهم لم تعد آمنة. ذات يوم عندما كنت أقود الدراجة إلى المدرسة رأيت شخصًا يقف على الطريق. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى هناك كان قد

مات. أثرت هذه الأعمال الوحشية وغيرها على ذهني بشكل سلبي. وبعد وصولي إلى المدرسة اعتبرت أن من الواجب علي وقف هذه الجرائم. فتركت أنا وصديقي المدرسة وذهبنا إلى زانجياباد. وطلبت دراجة نارية هناك من رجل يدعى "سروار" من سكان قرية طالقان. وأخبرت صديقي أننا سنزور المدارس الآن لدعوتهم للانضمام إلى قضيتنا.

في المساء ذهبنا إلى إحدى المدارس، ودعينا أربعة عشر من طلبة العلوم الدينية من طلاب المدرسة، وقلنا لهم إن المسلمين يتعرضون للتدمير، وإن عددا قليلا قليل من المجرمين القساة استولوا على هذه المناطق. وأنه لم يعد أحد آمناً على حياته أو عرضه أو ماله. فهؤلاء الفاسقين يذلون الناس على الطرق، ولا ينبغي أن نسكت في مثل هذه الظروف. وإذا كنتم تتعلمون العلوم الدينية لإرضاء الله، فعليكم ترك ذلك حاليا وإيقاف الفساد مرضاة لله. فالدراسة والتدريس غير ممكنة في ظل هذه الظروف العصيبة. ولا يمكننا وقف تلك الجرائم بمجرد رفع الشعارات. وقلت لهم أنه لم يعدنا أحد بالدعم، لكن سنطلب الطعام من المسلمين الأفغان، ولا نعرف حتى ما إذا كانوا سيساعدوننا، ويوجد احتمال بألا نجد أبدًا فرصة لمواصلة تعليمنا، كما أننا لسنا متأكدين من فرص نجاحنا.

ولتشجيعهم قلت أيضا: هؤلاء المجرمون الفساق يجلسون في الطرق على الأحجار الساخنة في هذا الجو الحار، ويظهرون معصيتهم وعداوتهم لله سبحانه وتعالى. فلماذا لا نؤيد الدين علانية؟ لا تكونوا مهملين ولا تثبطوا عزائمكم. عندما نسيطر على أي مكان، سنجلس هناك، ولن تكون هناك شكوى من أن دروسا فاتتنا أو أننا لا نملك المال والأسلحة والطعام. وبعد ذلك سألتهم عما إذا كانوا سيدعمونني أم لا. ولم يقل

أي منهم ما إذا كانوا مستعدين للقتال معي، وأخبروني أنه يمكننا دعمك إذا كان بإمكانك القيام بأي شيء ليلة الجمعة القادمة، فقلت لهم من سيفعل شيئًا معي بعد يوم الجمعة؟

ويشهد الله فالقصة كما أذكرها. ولو بحثنا عن مكتسبات ومنافع مادية لكنّا قد رجعنا إلى مدارسنا الدينية محبطين. لكني وعدت الله ووثقت به، وبسبب هذه الثقة وصلنا إلى هذا المنصب. وبعد ذلك ذهبنا إلى مدرسة أخرى وقلنا لهم أن هذه ليست مهمة سهلة، وكانوا خمسة أو سبعة ذكروا أسمائهم. كانت كل مدارس الطلبة من نفس الأمة والبلد، ويسكن طلبتها بنفس المنطقة. لم يكن الأمر ليتم لو كانوا من أماكن مختلفة، أو كان بعضهم من العلماء والبعض الآخر من الجهلاء، وكانوا جميعًا شبابًا. ففي الأمر حكمة غريبة، وكنت أمام اختبار كبير من الله.

كانت هذه بداية حركة طالبان. وقمنا بزيارة مدارس مختلفة باستخدام الدراجة النارية التي أعطاها لنا "سروار"، وبحلول المساء، قدم لنا ستة وخمسون شخصًا أسمائهم. وطلبت منهم أن يجتمعوا في الصباح الباكر في مدرستي. وفي الليل عدت إلى مدرستي، وبحلول الساعة الواحدة صباحًا حضروا جميعًا.

في صباح اليوم التالي رتبنا اثنين من السائقين، وفي الساعة العاشرة صباحًا أرسلنا عددًا قليلاً من الأشخاص إلى حاجي بشير حيث طلبنا منه سيارتين وأسلحة، وقد وفرها لنا. ذهبنا إلى "كشكيناخود" عاصمة مديرية مايواند، ورتبنا مع بضعة أشخاص آخرين. وعندما زادت أعدادنا، أخذنا الأسلحة وبدأنا عملنا من موقع يبعد خمسة أميال عن منطقتنا.



في النهاية قال الملا عمر إننا تنادينا لتحقيق أمر كبير، وسوف نواجه العديد من الصعوبات من أجل فعل ذلك. يحتاج هذا العمل فقط إلى التوكل على الله، فمن السهل إطلاق الدعاوى، لكنه اختبار ذلك عمليا أمر صعب للغاية. وأضاف: "يا علماء الإسلام! أحتاج إلى دعمكم وتوجيهكم لأنني ما زلت طالبًا. إذا لم توجهوني بشكل صحيح لتطبيق شرع الله، فستسألون عن ذلك في الآخرة ".

الحاج بشير يدعم الملا عمر

في ربيع عام 1996، عندما كان الملا عمر يؤسس حركة ضد المليشيات والفوضى ونقاط التفتيش غير القانونية في قندهار، انخرط مقاتلو الحاج بشير في صراع مع مقاتلي الأستاذ عبد العليم القائد التابع لسياف. فالحاج بشير كان قائدا تابعا للحزب الإسلامي جناح مولوي يونس خالص، وسيطر على مركز مديرية مايواند. وبالمقابل أراد رجال عبد العليم إقامة نقطة تفتيش غير قانونية بالقرب من مايواند، مما شكل تحديًا جديدًا للسكان المحليين، وقد عارض مقاتلو بشير ذلك. ووقعت معركة مسلحة بينهما بالقرب من مقبرة "لوكال خيلو هديرا" في مايواند وقُتل مسلح من جماعة عبد العليم. وهاجم مسلحون من جماعة عبد العليم في وقت لاحق قاعدة للحاج بشير بقيادة الملا عبد الستار، وقُتل 17 شخصا من جماعة الحاج بشير نورزاي.

كانت هذه خسارة فادحة للحاج بشير إذ لم يسبق له التورط في نزاعات محلية حتى ذلك الحين. وبعد هذه الحادثة، تطلع الحاج بشير إلى حل هذه القضايا بطريقة لائقة، فالحاج بشير على معرفة قديمة بالملا عمر، فهما من سكان مايواند، وكان بشير على إطلاع على انجازات الملا عمر الجهادية. وعندما علم بنية عمر للتصدي للفوضى، دعمه على الفور عبر تزويده بالعتاد بل وسلمه منطقته. وهكذا سيطرت طالبان على منطقة

مايواند وأقامت قاعدة هناك. كما أنشأت قاعدة أخرى في سوق "حوز ماداد" قرب مدينة قندهار.

بدأ الملا عمر وأصدقاؤه الكفاح للقضاء على نقاط التفتيش غير الشرعية وإحلال السلام في المناطق الواقعة بين قندهار وهلمند. كما أسسوا قاعدة صغيرة في منطقة داند بالقرب من مدينة قندهار. وظلوا لمدة شهرين على الأقل يطلبون من المسلحين المتواجدين في نقاط التفتيش غير الشرعية التخلي عن هذا العمل والمغادرة. وفي النهاية أزالوا بالقوة نقطة تفتيش غير شرعية يديرها قائد متشدد في منطقة باشمول الواقعة بين قندهار ومايواند. وكانت هذه بداية العمل العسكري لطالبان.

ومن قاعدة طالبان الجديدة في حوز ماداد وصولا إلى قندهار، تواجدت ما يقرب من عشر نقاط تفتيش اشتهرت باسم القادة المسيطرين عليها: دارو خان (كولاك)، بسم الله (باشمول)، بير محمد (باشمول)، صالح محمد (باسا وزير كالا سارة)، قيوم خان (أشوجا)، حبيب الله جان (سنخاري)، نادر جان (شاه آغا دوراهي)، عطا محمد سر كاتب (باغ بول)، الأستاذ عبد العليم (ساربوزا)، ملا نقيب الله (هندوكوتاي).

أول نقطة تفتيش غير قانونية والمعركة الأولى

عندما بدأ الملا عمر وأصدقاؤه نضالهم المنظم ضد مسلحي نقاط التفتيش غير الشرعية، طُلب من المسلحين عند نقاط التفتيش مرارًا وتكرارًا التوقف عن ممارساتهم، لكن ردهم كان قاسيًا ومثيرًا للاشمئزاز. كانت أول نقطة تفتيش للمسلحين هي نقطة تفتيش "دارو خان" بالقرب من باشمول على الطريق السريع. وقد سئم الناس من ظلم وقسوة الميليشيات.



في 29 سبتمبر 1996، هاجمت طالبان حاجز "دارو خان" في منطقة كولاك. وكان الهجوم ناجحًا، فهرب المسلحون وغادروا المنطقة، وخلصت طالبان الناس من مقاتلي نقاط التفتيش وقادتهم ونتيجة لذلك رحبت المجتمعات المحلية بعناصر طالبان في كل مكان مما رفع من معنوياتهم. ومن ثم بدأ الدعم العام يترسخ وانضم إليهم أشخاص جدد من كل مكان. وكانت هذه هي الخطوة الأولى للتقدم العسكري لطالبان الذي حدث في المنطقة الواقعة بين منطقتي داند وبانجواي، حيث كان الملا عمر يتمتع بنفوذ في السابق.

يربط قلة من المعلقين الجهلاء أو المغرضين ظهور حركة طالبان بمنطقة بولداك بالقرب من الحدود مع باكستان، وهو خطأ تاريخي. فقد بدأت انتفاضة طالبان في المنطقة الواقعة بين مقاطعات مايواند وداند وبانجواي وزهاري، وظهرت لأول مرة في مايواند، منطقة الفاتح الأفغاني محمد أيوب خان.

اختيار الملا عمر أميراً

أدى القضاء على نقطة تفتيش "دارو خان" إلى إخافة المسلحين الآخرين. فهجر عدد قليل منهم المنطقة طواعية، في حين بقي عدد قليل من الرجال القساة بما في ذلك صالح ونذير جان. وانضم عدد قليل من الجهاديين السابقين المشهورين وطلبة العلوم الدينية الجدد من مناطق بولداك وأرغستان وأرغنداب ومعروف إلى حركة طالبان. وكان مولوي عبد الصمد والملا عمر يعملان معًا حتى هذا الوقت. حيث عمل الملا عمر كقائد عسكري، بينما كان مولوي عبد الصمد هو الرئيس. لكن كان مولوي عبد الصمد خائفا من توسع حركة طالبان لأنه كان شخصا هادئا للغاية. واعتبر معظم عناصر طالبان الملا عمر زعيمهم الفعلي في حين أراد الأصدقاء المؤثرون والعلماء

المسلمون بالمنطقة أن يكون أي من الرجلين أميرًا دائمًا. وبعد ثمانية أيام من العملية العسكرية الأولى، تمت الدعوة لعقد اجتماع لاختيار أمير في المسجد الأبيض في منطقة حوز ماداد. وقد وافق معظم المشاركين بمن فيهم الملا نور الدين الترابي على تعيين الملا عمر أميراً، وتم اختياره بالإجماع. وعقب ذلك استعدت طالبان للاستيلاء على منطقة بولداك.